محاضرات في ...

تاريخ العرب الحديث والمُعاصر

الفرقة الرابعة – عام – تاريخ

أستاذ المقرر

أ. م. د. محمد سيد إسماعيل

2023م

تاريخ العرب

بيـانـات أساسية

الكلية: التربية　　**الفرقة**: الرابعة

التخصص: عام- تارخ　　**عدد الصفحات**: 124

القسم التابع له المقرر : قسم التاريخ- كلية الآداب.

فيديو للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط خارجي

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

أنشطة ومهام.

تواصل عبر مؤتمر الفيديو.

الدول العربية

جزيرة العرب	شمال أفريقيا والمغرب العربي:
1- المملكة العربية السعودية. 2- الجمهورية اليمنية. 3- الإمارات العربية المتحدة. 4- دولة الكويت. 5- دولة قطر. 6- سلطة عُمان. 7- البحرين.	1- جمهوية مصر العربية. 2- المملكة المغربية. 3- الجمهورية التونسية. 4- الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية. 5- دولة ليبيا. 6- جمهورية السودان. 7- موريتانيا.
الهلال الخصيب:	**القرن الأفريقي:**
1- الجمهورية العربية السورية. 2- جمهورية العراق. 3- دولة فلسطين. 4- الجمهورية اللبنانية. 5- المملكة الأردنية الهاشمية.	1- الصومال. 2- جيبوتي. 3- جزر القمر.

عواصم الدول العربية

عواصم الدول العربيّة في قارة أفريقيا

مصر	القاهرة	ليبيا	طرابلس
السودان	الخرطوم	الجزائر	الجزائر
المغرب	الرباط	موريتانيا	نواكشوط
تونس	تونس	الصومال	مقديشو
جيبوتي	جيبوتي	جزر القمر	موروني.

عواصم الدول العربيّة في قارة آسيا

سوريا	دمشق	فلسطين	القدس
لبنان	بيروت	العراق	بغداد
الكويت	الكويت	الأردن	عمَّان
قطر	الدوحة	الإمارات	أبو ظبي
البحرين	المنامة	عُمان	مسقط
اليمن	صنعاء	السعودية	الرياض

الفصل الأول

نشأة الدولة العثمانية

نشأت الدولة العُثمانيَّة بدايةً كإمارة حُدود تُركمانيَّة تعمل في خدمة سلطنة سلاجقة الروم، وترد الغارات البيزنطيَّة عن ديار الإسلام، وبعد سُقُوط السلطنة سالفة الذِكر استقلَّت الإمارات التُركمانيَّة التابعة لها، بما فيها الإمارة العُثمانيَّة، التي قُدِّر لها أن تبتلع سائر الإمارات بِمُرور الوقت. عبر العُثمانيُّون إلى أوروبا الشرقيَّة لأوَّل مرَّة بعد سنة1354 م، وخلال السنوات اللاحقة تمكَّن العُثمانيُّون من فتح أغلب البلاد البلقانيَّة، فتحوَّلت إمارتهم الصغيرة إلى دولة كبيرة، وكانت أوَّل دولةٍ إسلاميَّة تتخذ لها موطئ قدم في البلقان، كما قُدِّر لِلعُثمانيين أن يفتتحوا القسطنطينية سنة1453 م، ويُسقطوا الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة بعد أن عاشت أحد عشر قرنًا ونيفًا، وذلك تحت قيادة السُلطان محمد الفاتح

بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر؛ فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاث :أوروبا وآسيا وأفريقيا؛ حيث خضع لها كامل آسيا الصغرى، وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي أفريقيا. وصل عدد الولايات العثمانية إلى 29 ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًّا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي

عندما ضمَّ العُثمانيُّون الشَّام ومصر والحجاز سنة1517 م، وأسقطوا الدولة المملوكية بعد أن شاخت وتراجعت قوتها، تنازل آخر الخلفاء العباسيين المُقيم في القاهرة مُحمَّد المتوكل على الله عن الخلافة لِلسُلطان سليم الأول، ومُنذ ذلك الحين أصبح سلاطين آل عُثمان خُلفاء المُسلمين. كما كان للدولة العثمانية سيادة على بضع دول بعيدة، إما بحكم كونها دولًا إسلامية تتبع شرعًا سلطان آل عثمان كونه يحمل لقب» أمير المؤمنين خليفة المسلمين؛ كما في حالة سلطنة آتشيه السومطرية، التي أعلنت ولاءها للسلطان في سنة1565 م، أو عن طريق استحواذها عليها لفترة مؤقتة؛ كما في حالة جزيرة «أنزاروت» في المحيط الأطلسي، والتي فتحها العثمانيون سنة1585 م.

كان جد العثمانيين الأعلى هو سليمان شاه ينتمي إلى عشيرة تركمانية اسمها قايي ، وكان يحكم منطقة ماهان شمال إيران في أواخر القرن الثاني عشر ، وقد فر أمام المغولي في مطلع القرن الثالث عشر ، متجها مع جماعة من أتباعه نحو الأناضول ، وتشير هذه الرواية إلى أن سليمان شاه غرق أثناء عبوره نهر الفرات عند قلعة جعبر فانقسمت إلى قسمين فضل أحدهما ، وكان بقيادة كندبار أحد أبنائه ، العودة من حيث اتى ، أما القسم الآخر فكان بقيادة ارطغرل الذي قرر الاستمرار في الاتجاه نحو الاناضول ، وبهذا يعد ارطغرل مؤسسة الأسرة العثمانية في الأناضول ، ومما جاء في الرواية أن ارطغرل شاهد في طريقه جيشين مشتبكين فوقف على مرتفع من الأرض ليمتع نظره بهذا المنظر المألوف لدى العشائر البدوية آنذاك ، ولما آنس الضعف في أحد الجيشين وتحقق من

انكساره وخذلانه إن لم يمد إليه يد المساعدة دبت فيه النخوة الحربية ونزل هو و فرسانه مسرعين لنجدة أضعف الجيشين وهاجم الجيش الغالب ، وكان فرقة مغولية من جيش الخان اوكتاي بن جينكيز خان حتى هزمه ن ولم يكن الجانب الضعيف سوى جيش سلطان قونية السلجوقي علاء الدين الأول (1219 – 1235 م) فكافأه علاء الدين على مساعدته له فإقطاعه بقعة من دولته في غرب الاناضول وهي سهول سكود والمنحدرات الشرقية من جبال ظومانيج على الحدود البيزنطية ، كما منحه لقب (أوج بكي) أي حارس الحدود جريا على التقاليد التي كانت سائدة في دولة الاتراك السلاجقة .

وتقول الرواية أن عثمان الابن الأكبر لارطغرل تزوج من مال خاتون وهي ابنة رجل صالح متصوف اسمه ادة بالي ، كان يسكن في قرية مجاورة لمدينة اسكي شهر حين قص عليه حلما رآه وفيه أن القمر يصعد من صدر الشيخ وبعد أن يصبح بدرا ينزل في صدر عثمان ، ثم تخرج من صلبه شجرة تغطي الكون بظلها ، وتصبح كل الجبال تحتها ويخرج النيل ودجلة والفرات والدانوب من جذعها وتتوجه أوراق هذه الشجرة كالسيوف نحو مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية آنذاك. ولما توفي ارطغرل سنة 1288م أصبح عثمان أكبر أولاده مكانه ولم يلبث هذا أن حصل على امتيازات جديدة عقب فتحه قلعة قرية حصار ، سنة 1289 فمنحه السلطان علاء الدين لقب (بك) وأقطعه كافة الأراضي والقلاع التي استولى عليها وأجاز له ضرب العملة وذكر اسمه في خطبة الجمعة ، وفي سنة 1300 توفي علاء الدين فاستأثر عثمان بجميع الأراضي

المقطعة له ولقب نفسه باديشاه آل عثمان ، وجعل مقره مدينة يكي شهر ، وأخذ في تحصينها ، ثم احتل نيقيا ، ولكنه فشل في احتلال نيقوميديا فعاد إلى عاصمته الأولى ليعمل في تنظيم سلطنته .

لقد وردت الراوية التقليدية تلك في الحوليات العثمانية الرسمية وتناقلتها مصادر عديدة ولكن ببعض الاختلافات القليلة ومن ذلك أن لعثمان اثنين وخمسين جدا ينتهون بنوح ، ومنهم أوغوزخان الذي عرف قومه بالغز ، وهم قبائل تركية اشتهرت ببأسها في آسيا الغربية في القرن العاشر ، وردد كتاب عرب الرواية الرسمية وأضافوا إليها بعامل الزمن كثيرا من الإضافات التي تعكس ازدياد قوة العثمانيين ، وكمثال على ذلك إلى رواية تطرق فيها علي بن حسن الشهالي الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى خبر يتعلق بانتساب العثمانيين إلى عرب الحجاز .

ويتضح من الرواية العربية أنها تهمل ذكر الغز سبب وثنيتهم ولا يعني هذا النيل من العثمانيين وإنما إضافة أمجاد مهمة لهم حين تنسب إلى الأصل العربي ، ومهما يكن من أمر فالنظرية الرسمية وانعكاساتها تدل على أنها محض أساطير وضعت وشاعت في وقت متأخر من قيام الدولة العثمانية وهي تعود غالبا إلى القرن الخامس عشر حين شعر الكتاب الأتراك بأن دولة عظيمة مثل الدولة العثمانية ، وخاصة بعد استيلائها على القسطنطينية سنة 1453م ، تحتاج إلى تاريخ عظيم يتفق والحاضر المجيد الذي وصلت إليه .

لقد توصل الباحثون في السنوات القليلة الماضية إلى حقيقة تاريخية جديدة وهي ان الجد الأعلى للعثمانيين لم يدخل الأناضول في القرن الثالث عشر ، وإنما في القرن الحادي عشر مع جموع من التركمان الذين انتشروا في هذه المنطقة في اعقاب معركة ملاذ كرد صيف 1071 بين السلطان السلجوقي الب ارسلان والامبراطور البيزنطي رومان الرابع ديوجين التي انحسمت بهزيمة البيزنطيين وأسر الامبراطور ، واستنادا لهذه المعلومات ، فالعثمانيون الأوائل لم يكونوا أكثر من قبائل بدوية ارتبطت بالسلاجقة الأتراك بشكل أو بآخر ، لذلك وبعد أن بنى العثمانيون دولتهم نشروا الفكرة القائلة بأن جدودهم الأوائل دخلوا الأناضول قادة عسكريين في خدمة السلاجقة وهذا بدون شك يعزز طموحاتهم إلى السلطة وانفرادهم بها خاصة بعد انقراض دولة السلاجقة الروم العظام .

الفصل الثاني

العلاقات العثمانية الخارجية

أولاً: الدولة الصفوية:

استفحل أمر الدولة الصفوية، بعد عهد السلطان بايزيد الثاني، الذي استخدم اللين مع الشاه إسماعيل الصفوي، على الرغم من نشاط الخير في نشر المذهب الشيعي بين القبائل التركية البدوية، وقتل الكثير من أهل السنة، بعد استيلائه على بغداد. وكان ذلك يحمل في طياته خطراً كبيراً على الدولة العثمانية، التي تزعمت أهل السنة في ذلك الوقت. إذ أن الشاه إسماعيل الصفوي، الذي جعل من التشيع سياسة لدولته ومذهباً لها، وجد له أعواناً كثيرين في الأناضول. وكان ذلك كفيلاً بأن يفتت وحدة الدولة العثمانية في الأناضول، على وجه الخصوص. فأجَّل السلطان سليم الأول فتوحاته، في أوروبا، ردحاً من الزمن، وتوجه بكل ما أوتي من قوة نحو الشرق، لوقف ذلك المد الشيعي، وتأديب المماليك، في مصر والشام، المتحالفين مع الصفويين، والعاجزين عن حماية الأماكن المقدسة. وكانت معركة جالديران، عام (920هـ/ 1514م)، انتصاراً باهراً للعثمانيين وهزيمة نكراء للصفويين، توغل الجيش العثماني بعدها في إيران حتى وصل إلى تبريز. وقد ثبّت

ذلك الانتصار أقدام العثمانيين في الأناضول، وحسنت من صورتهم أمام العالم الإسلامي. غير أن ذلك النصر لم يكن ليكتمل ما لم تتم إزالة التهديدات البرتغالية للبحر الأحمر والأماكن المقدسة، في وقت استغاث فيه أهالي المنطقة بالعثمانيين، إزاء عجز المماليك عن الدفاع عنها، إضافة إلى إيواء المماليك للثائرين على السلاطين العثمانيين، وتحالفهم مع الصفويين ضد العثمانيين. توجّه السلطان سليم الثاني إلى سوريا، ووقعت بينه وبين الغوري المملوكي معركة، بالقرب من حلب، عند مرج دابق، عام(922هـ/1516م)، ومني الغوري بالهزيمة، وسقوط قتيلاً، ودخل السلطان سليم الأول مدينة دمشق، وضُمت الأراضي السورية إلى الدولة العثمانية. ثم توجه السلطان سليم إلى القاهرة، وانتصر في معركة الريدانية، بالقرب منها، في عام 923هـ (بدايات عام 1517م). وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ العثمانيين، اكتملت فيه سيطرتهم على العالم العربي، والتي استمرت أربعة قرون. وأعلن بذلك العثمانيون حمايتهم للأماكن المقدسة، وجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية.

سبق البرتغاليون غيرهم من الأوربيين في المجال الاستعماري ، فبعد اكتشافهم لطريق رجاء الصالح سنة 1498 تمكنوا من الوصول إلى المياه العربية الجنوبية المتمثلة بالخليج العربي والبحرالاحمر والبحر العربي ، وقد احتلوا أغلب

موانئ الخليج العربي المهمة وجزيرة وبنو قلاعا دفاعية حصينة في هرمز ومسقط وعمان والقطيف وصحار والبحرين ، وقد جاءوا إلى المنطقة بأساطيل قوية تضم سفنا كبيرة ذات أسلحة نارية فتاكة لذلك لم يكن لسكان المنطقة قبل بها فعجزوا عن مقاومتها في بادئ الامر ، كما تميزت سياستهم بالعنف والقسوة والتعصب الديني والعنصري .

ثانياً: البرتغال

كان لظهور البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر أثر بعيد في تاريخ الخليج العربي وأقطاره ، فقد حولوا طرق التجارة عن مجراها التقليدي المار عبر البحر المتوسط والبحر الاحمر فالبحر العربي والعراق فحرموا منطقة الخليج من مصدر أساس من مصادر ثروتها ، وكانوا بالإضافة إلى ذلك مدفوعين في حركة الاستكشافات والتوسع هذه بروح صليبية وكانت غاياتهم واضحة ومحددة أولها الالتفاف حول العرب وشن الحرب عليهم وتوجيه ضربة قاضية للتجار العرب الذين يعملون منذ العصور الوسطى في نقل التجارة الشرقية من الهند والشرق الأقصى إلى موانئ البحر الاحمر والخليج العربي حيث تتولى القوافل العربية نقلها من السويس عبر الأراضي المصرية إلى القاهرة فالاسكندرية أو من البصرة عبر العراق وبادية الشام إلى موانئ البحر المتوسط لتنتطرها سفن المدن الإيطالية ومنها جنوه والبندقية وتحملها إلى أوربا . كان الوطن العربي عندما بدأت هجمات البرتغاليين على البحر الاحمر في أوائل القرن السادس عشر يمر في دور انحلال سياسي وعسكري في حين كانت الدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية قد

وصلت الذروة في قوتها السياسية والعسكرية ، لذلك اتجهت أنظار بعض العرب إلى الدولة العثمانية كي تعينهم ضد الخطر البرتغالي وعلى سبيل المثال اقترح شريف مكة سنة 1516 إرسال وفد إلى السلطان سليم طلبا للمساعدة العسكرية غير ان السلطان المملوكي قانصوه الغوري 1500 – 1517 منع سفر ذلك الوفد .

وسرعان ما أدرك المماليك خطر البرتغاليين الذي بات يهدد طرقهم التجارية المؤدية إلى الهند ، كما يهدد المراكز الإسلامية في الجزيرة العربية خاصة بعد ان اتضحت أهداف البرتغاليين بالتقدم للاستيلاء على مصر والأماكن المقدسة في الحجاز وفلسطين ، يتجلى ذلك في رغبة القائد البرتغالي الفونسو الذي كان يحلم بقيادة جيوش ضخمة تحقق أهداف البرتغاليين الاستعمارية ورغم أن هذه الخطط كانت فوق طاقة البرتغال ولكن سيتجلى مغزاها في أنها تظهر لنا ان أعظم قادة البرتغال لم ينشر الثل الصليبية العليا هذا ومن جهة أخرى كان البرتغاليون مدركين وقلقين كذلك من أن رد الفعل لغزوهم سوف لا يقتصر على المقاومة العربية بل يشمل العثمانيين الذين يحتمل أن يجيئوا لمساعدة أبناء دينهم ، في الخلي العربي ، وعلى الرغم من اختلاف الأهداف السياسية لكل من العثمانيين والبرتغاليين في الأقطار العربية ، غير ا المجابهة العسكرية بين الطرفين كانت محتملة الوقوع أثناء الربع الأول من القرن السادس عشر ، خاصة بعد فشل المماليك في محاولتهم حماية الجنوبية وإبعاد الخطر البرتغالي أثناء السنوات الممتدة ين سنتي 1506 – 1509 من جهة ، واندحار الصفويين الفرس أمام العثمانيين في معركة

جالديران سنة 1514 من جهة أخرى ، فعندما عرف القائد البرتغالي البوكيرك بهزيمة الصفويين كتب إلى الملك البرتغالي عمانوئيل الأول السماح له بتجهيز الشاه إسماعيل الصفوي بالمدفعية اللازمة كي يتمكن الصفويين من إضعاف القوة العثمانية ويعرقلوا تقدم العثمانيين صوب المياه العربية والهندية .

لقد دفعت الضرورة السلطان المملوكي قانصوه الغوري بعد أن حطم البرتغاليون أسطوله في جوال سنة 1509 قرب ميناء ديوا إلى طلب المساعدة البحرية من السلطان العثماني ، فأسرع العثمانيون في إرسال مواد بناء السفن مع الفنيين المختصين إلى ميناء السويس في كانون الثاني 1511م في هذه الأثناء لم تتوقف فعاليات البرتغاليين في المياه العربية فرغم فشل القائد البوكيرك في احتلال عدن سنة 1513 بسبب المقاومة العربية الباسلة غير أنه استطاع الدخول إلى البحر الاحمر واحتلال جزيرة قمران ، فأصبح ميناء جدة معرضا لخطر مدفعية البرتغاليين وعندما كمل بناء الاسطول المملوكي عين السلطان الغوري سليمان ريس ، وهو قائد بحري عثماني رئيسا له فأبحر من السويس سنة 1515 مستهدفا الدفاع عن البحر الأحمر وطرد البرتغاليين منه وإبعاد خطرهم عن مكة المكرمة ، واستطاع في سنة 1517 وسنة 1525 إحباط الهجمات البرتغالية على جدة ونجح العثمانيون في اثناء هذه الفترة في التمركز في زبيد لكنهم فشلوا في تثبيت سيطرتهم على ميناء عدن ولم يتحقق لهم ذلك إلا بعد احتلال العراق.

ثالثاً: الدولة المملوكية

توفرت أسباب النزاع بين الدولة العثمانية وبين دولة المماليك التى كانت تحكم مصر والشام لها سيادة على إقليم الحجاز، وكان أول أسباب النزاع الخلاف على تخطيط الحدود بين الدولتين فى طرسوس فى المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبى الشرقى لآسيا الصغرى وبين شمالي الشام فقد تناثرت فى هذه المنطقة إمارات وقبائل تأرجحت فى ولائها بين الدولة العثمانية ودولة المماليك، وكان هذا مبعث اضطراب فى العلاقات بين الدولتين، ومصدر نزاع مستمر وأراد السلطان سليم الأول أولا لأمر أن يحسم مسألة الحدود، بالسيطرة تماما على منطقتهاومكانها. وهناك سبب ثان هو أن السلطان قانصوه الغورى(1501 – 1516) سلطان دولة المماليك إداة إليه بعض الأمراءالعثمانيين الفارين من وجه السلطان سليم وأراد أن يتخذ وجودهم لديه آواه لإثارة مزيد من المتاعب فى وجه السلطان سليم. وكان السبب الثالث والأهم هو السياسة الصبيانية التى اتبعها السلطان الغورى أثناء الحرب التى قامت بين السلطان سليم وبين الشاه إسماعيل الصغرى، فقد وقف الغورى موقفا غير ودى من العثمانيين دون أن يفيد هذا الموقف الشاه اسماعيل، فهو لم يلتزم بالحيدة بين العثمانيين والصفويين، وهو لم يتخذ موقفا عدائياً صريحاً من السلطان سليم، فكان فى استطاعته لو اتخذ الموقف العدائي أن يقدم المساعدة للصفويين وقت توغل الجيش العثمانىفى اتجاه فارس وأن يحصره بين قوتين الجيش الصفوي من الأمام، والجيش المملوكى من الخلف، مما يعرض الجيش العثمانى لخطر الإبادة، وكان في استطاعة الجيش المملوكى أن يقطع عليهخط الرجعة إلى بلاده

وكان فى استطاعته أكثر من ذلك ان يتقدم عليه أراضى الدولة العثمانية، وتكون النتيجة أن هذا الجيش يعجز عـنالدفاع عن بلاده، وعن الإغارة على فارس، ولكن لم يحدث شـيء من هذه الخطط العسكرية، واكتفى السلطان الغورى بتأييد شـكلى، وأصدر الآوامر إلى الأمير علاء الدولـة حـاكم إمـارة "دلفـادر" المشمولة بحماية دولة المماليك منع تقديم المؤن والاغذية اللازمـة للجيش العثمانى فى أثناء توغله فى فارس، فأعاق هذا المنع تقـدم الجيش العثمانى بعض الوقت واشتد ضيق السلطان سليم على هذا التصرف، وعزم على الانتقام، وفى طريق عودته إلى بلاده أمـر السلطان سليم بقتل الأمير علاء الدين، واستولى على جميع أراضيه بما فى ذلك عاصمته "ابلستين"، وبات العثمانيون على مقربة من الأطراف المملوكية، وأصبحت دولة المماليك معرضة لهجوم العثمانيين، وأحس السلطان الغورى بالخطر واندلعت الحربين الدولتين واستطاع العثمانيون إنزال هزيمة ساحقة بالجيش المملوكى فى موقعة "مرج دابق" شمال حلب فى أغسطس 1516، وقتل السلطان الغورى .

لما رأى السلطان سليم عمق الهزيمة التى أنزلها بالمماليك وسع نطاق الحرب وتساقطت تباعا المدن الكبرى فى الشام وحلب وحماه وحمص ودمشق التى أقام بها قرابة شهرين تسابق خلالها الأمراء والأعيان إلى السلطان يعلنون ولائهم للحكم الجديد ،وتشجع السلطان سليم على غزو مصر بعد غزو الشام، وواصل زحفه جنوبا حتى بلغ مصر، وكان الأمراء فى مصر قد اختاروا "طومان باى" سلطانا للدولة المملوكية، وفى موقعة الريدانية فى ضواحى القاهرة التحم

الجيشان العثمانى والمملوكى فى 23 يناير 1517 واشترك فيها السلطان سليم وطومان باى، وقد تمكن الأخير من ذبح سنان باشا الصدر الأعظم معتقدا أنه السلطان سليم، وكانت الخسائر من الجانبين فادحة، ودخل العثمانيون القاهرة يوم الجمعة 23يناير 1517 م، وقبضوا على السلطان طومان باى وتم شنقه فى13 أبريل 1517 عند باب زويلة وطويت دولة المماليك ،ودخلت مصر والشام فى نطاق الممتلكات العثمانية .

الفصل الثالث

مصر تحت الاحتلال العثماني

فقدت مصر بالفتح التركى عظمتها الماضية إذ أصبحت واحدة منالولايات العثمانية ، وصارت مزرعة ينتظر منها صاحبها أقصى ما يمكن من الدخل بمختلف أنواعه ، غير أنه كان يولى إدارتها فئة من الناس قليلة الكفاية والأمانة فى معظم الاحيان . أما الشعبالمصرى فقد بقي كما كان دائما قليل الاكتراث بالفاتحين : يعمل ويزرع ويدفع ويعيش، على نحو ما ، فى هدوء وسكون .بقى السلطان سليم فى مصر حتى سبتمبر 1517 ثم غادرها الى مقر السلطنة ، وكان عليه قبل أن يغادر البلاد أن يفكر فى نظام للحكومة يضمن به قادمية مصر لتركيا ، أذ انه كان قد عقد العزمعلى ان يستقل الشعب المصربالهادىء العامل ، ولكن بعد مصر عن عاصمة الدولة العثمانية وقلة ثقة السلطان فى اتباعه الذين قد يوليهم حكومتها ، وكان من نتيجة هذا فكر فى تقسيم السلطةبين الوالى ، وديوان مكون من ضباط الحماية التركية التراى ان يتركها فى مصر ، وكانت كلتا السلطتين تعتمد على الاخرى . وكان الوالى(الباشا) يعتبر من الوجهة النظرية الحاكم الوحيد وصاحبالسلطة العليا فى البلاد ، يعينه السلطان فى المدة لم تكن تتجاوز فى المتوسط ثلاثة سنوات ، ويشرف على جمع الجزيه ، ولكن أوامره كانت تحتاج قبل تنفيذها لموافقة اعضاء الديوان الذين كان لهم الحق فى رفضهم ، كما كان لهم الحق فى عزل الوالى اذا اشتبهوفى انه يفكر فى خيانة السلطان .

وقد تركت السلطة التنفيذية فايدى امراء المماليك الذين كانت للديوان حق تعينهم وعزلهم ، ولكنهم كانومسؤلين مام الوالى عن القيام وبالواجبات التى فرضت عليهم .وقد خلف السلطان ابنهسليمان القانونى الذى عدل نظام حكومتها ، بان حول الحامية إلى شبه جيش احتياطى ، وضمإليه فرقة من المماليك ، كذلك استبدل بالديوان ديوانين أحدهما يسمى الديوان الكبير ، ويؤلف من رؤساء فرق الحامية وبعض كبار الموظفين ، ومهمته النظر فى الأمور الرئيسية للحكومة ، والثانى يسمى الديوان الصغير وينعقد يوميا فى القلعة _ مقر الباشا _وينظر فى الأمور العادية ، ويتألف من رؤساء الفرق ونائب الوالى ، وكان يحضر جلسات الديوانين من وراء ستار ، كما كان العرف المتبع .

التقسيمات الإدارية :

كانت مصر مقسمة من الواجهة الإدارية إلى ستة عشر إقليما(أيمديرية) منها تسعة فى الوجه البحرى هي الجيزة ورشيدوالغربية والمنوفية والمنصورة ودمياط والشرقية والقليوبية والبحيرة ، والباقىفى الوجه القبلى وهى أطفيح وبنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وجرجا وقنا . وكانت الأقاليم الكبيرة (الغربية والشرقية والمنوفية والبحيرة وجرجا) يحكم كلا منهامدير يسمى (السنجق) يساعده وكلاء يسمى كل منهم (الكاشف)أما باقي الأقاليم كان يحكم كل واحد منها كاشف وكان السناجقوالكاشف من أمراء المماليك ويعينهم الباشا بموافقة الديوان .

وكانت أهم واجبات السناجق والكشاف تتعلق بشئون الزراعة وجباية الضرائب واستتباب الأمن. فكان عليهم ان يتعهدوا جسورالنيل، ويعملوا على تقويتها قبيل الفيضان وحراستها أثنائه ، علىأن يسخروا فى ذلك الفلاحين ، الذين يجمعهم مشايخ البلاد لهذا الغرض ، كما كان عليهم أن يشرفوا على جمع الضرائب فى اقليمهم طبقا للفئات المفروضة على الأراضى الزراعية ، وأن يساعدوا على إيداعها فى خزانة الدولة فى القاهرة . وعليهم أخيرا المحافظة على الأمن وعلى الأخص حماية القرى ضد هجمات البدو الذين كثيرا ما كانوا يسطون عليها ويسلبون أهلها ما عندهم. هذا فيمايتعلق بإدارة الأقاليم. أما الإدارة المركزية فكان من رجالها الكخيا وهو نائب الوالى .والدفتردار ومهمته ضبط الإيرادات والمصروفات وحفظ سجلات الأراضىوالرزنامجى ووظيفته إدارة الضرائب وضبط حساباتها .وأمير الحج وهو يرافق الحجاجويوزع الصدقات والهدايا التى ترسل سنويا إلى الحجاز .والخازندار الذى يحمل الجزية سنويا إلى الأستانة ، وامين العنابروهو مدير مخازن الحكومة التى تخزن فيها المحاصيل التى تؤخذ من الاهالى كضرائب . وقاضى القضاه وهو المشرف على الأنظمة القضائية وكان فى الغالب تركيا يعينه السلطان لمدة سنة أو سنتين ويعاونه قضاه آخرون ، وانت وظائف القضاه عرضة للبيع لمن يدفع فيها أكبر ثمن مما أدى إلى اختلال النظام القضائى وانحطاطه ،وقد كانت كبرى الوظائف السابقة جميعها تسنه إلى بكوات المماليك .

تطور نظام الحكم :

كانت الهيئات الثلاث ، الوالى وأهل الديوان والمماليك تتنازعفيما بينها مما أدى إلى إضعاف الحكومة ، وهذا هو ما قصده السلطان سليم الذى كان غرضه الأول من هذا النظام هو ضمان تبعية مصر لتركيا والحصول على الجزية بغض النظر فى مصلحة البلد وسعادة أهلها من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية ،ومع مضى الزمن قويت سلطة المماليك على حساب ضعف هاتين الهيئتين الأخريين فسيطروا على البلاد . وقد كان الوالى يقضى مدة قصيرة لا تسمح له بأن يختط سياسية اصلاحيته فصار همه أن يجمعأقصى ما يمكن جمعه من الاموال للسلطان والسلطات الحاكمفى تركيا ولنفسه كذلك اضعف الولاه نزاعهم الدائم مع الديوان والمماليك . أما الديوان فقد بدأ يضعف على ممر الايام نتيجة لنزاعه الدائم مع الوالى ، واندماج أعضائه بالمصاهرة مع المماليك حتى صار الديوان أخيرا مكونا من زعماء المماليك ، كما أفقدت قلة اشتباك الحامية فى الحروب ضباطها كثيرا من صفاتهم الحربية .

هكذا أضعفت هيئتان من هيئات الحكم ، بينما الهيئة الأخيرة ،المكونة من امراء المماليك قد طغت طغيانا كبيرا عليهما ، فأصبح المماليك أصحاب الكلمة العليا فى البلاد وزادت قوتهم . ولم يكنلأمراء المماليك نظام متبع للرئاسة فكانت الغلبة للأقوي ، وكان رئيس المماليك المسمى (شيخ البلد) يصل إلى مركزه بالقوة ،واصبحت سلطته لا تدانيها سلطة اذ كان زعيم حكام الأقاليم واعضاء الديوان . وكان هم المماليك جمع المال لا من المصريينفحسب بل من المماليك

الاقل قوة وسلطانا ،حتى شبهها احد العلماء بالسلطة التى يكتسبها الفاتح من اهلى البلاد المفتوحة ، ولهذا ترى ان هؤلاء المماليك لم يراعوا قواعد الحكم السليم فى الشئون المالية العامة . فقد خلطوا بين انواع الضرائب المختلفة حتى بين الغنيمة والفئ . فالغنيمة والفئ مختلفان وان كانا يؤديان الى معنى واحد: وهو المقدار من الاموال التى تستولى عليها جيوش الدولة فى حروبها. والغنيمة هى ما اغلب عليه المسلمين حتى ياخذوه عنوة، والفئ هو ما صولحوا عليه ، وبينما كان المسلمون يخمسون الغنائم والفئ فيحصل الذين حضروا المعركة اربعة اخماس ويرسل الخمس الى بيت المال ، اخذت المماليك فى وضع يدها على كل انواع الضرائب باختلاف أصولها ومواردها .

الحالة الأجتماعية :

كان عدد السكان يبلغ نحو ثلاثة ملايين ينقسمون إلى طبقات تختلف طرق معيشتها اختلافا بينا ويمكن تقيسيمهم الى العثمانيين والمماليك والمصريين

اولا العثمانيون :

كان من العثمانيين الوالى وأعضاء الديوان وبعض كبارالموظفين، وكان هم الوالى ينحصر فى جمع ما يمكن جمعه منالاموال فى المدة القصيرة التيبقاهافى الحكم ، وقد كان بقاءالوالىفى منصبه يتوقف على رضاء السلطان وكبار رجال حكومته . فكان عليه إذن أن يغمرهم بالهدايا، وهذا كله كان على حساب مالية البلاد العامة ومالية أهلها الخاصة. ومن الولاه من كان يتغالى فى استنزاف أموال الارامل واليتامى، ويرهق الفلاحين والصناع والتجار بالضرائب المختلفة.

وكانالوالى كثير العناية بمظاهر الحكم. فقد وصل الى القاهرة بعد تعيينه تضرب له الدافع ويسير ممتطيا جواده فى موكب يحيط بع عدد كبير من الفرسان والمشاه وزعماء المماليك.

أما اعضاء الديوان فبعد ان فقدوا ثقتهم الحربية لقلة اشتغال الحماية بالحروب اخذوا يستهزئون بالمماليك واختلطوا بهم بالمصاهرة، وعاشوا عيشة الترف والكسل والخمول ، وابتدأوا يقتنون الاراضى ويعيشون على دخلها.

ثانيا : المماليك :

كان عدد المماليك لا يزيد على عشرة الاف عاشوا عيشة البذخ والترف يسكنون القصور الفخمة ويلبسون الحرير والجوخويقتنون الجوارى والغلمان ليدربوهم على الحرب والفروسيةويعلموهم مبادئ القآن ، حتى إذا كبر المملوك حرره سيده ورقاهإلى رتبة بك وجعله من أتباعه وانصاره ويدين له بالولاء طولحياته ، وينحاز الى جانبه فيما يقوم بينه وبين غيره من زعماء المماللیك من المشاحنات والمنازعات التى كانت من المظاهر السائدة فى هذا العصر ، وكان الدافع اليها ارغبةفى السيادة والوصول الى سلطة الحكم الت اصبحت حين ضعفت تركيا فى ايدى اقوى المماليك واكثرهم انصارا وقد بسط امراء المماليك ايديهم على معظم الأراضي،ففى بعض الاحيان كانت مئات القرى تستغل لحساب امير واحد. وهم مع ذلك قد أهملوا الزراعة فساءت حالتها فقلت المحصولات، وارتفعت الاسعار، وكانت المجاعات تجتاح كثيرين من افراد الشعب فتقتل الأيدي العاملة.وكان لابد للماليك من الحصول على الاموال ، فأرهقوا الزراع والصناع

بالضرائب ، كذلك فرضوا الضرائب الباهظة على البضائع المارة عن طريق مصر ، وكذلك على التجار المقيمين بالديار المصرية . ومع هذا كله فقد كان امراء المماليك اكثر الحكام اتصالا بافراد الشعب مما جعل الأهالي يشعرون نحوهم بحب المسود لسادته.

ثالثا : المصريون :

كان المصريون هم الطبقة المنتجة فى الزراعة والصناعة والتجارة الاهلية ، ومع انهم اغلبية السكان فقد كان كل ما يحصلون عليه نتيجة لعملهم هو الضرورى من الماكل والملبس والمسكن . ويرجع سوء حالة المصريين الى قلة ثروة البلاد ، وقلةانتاجها نظير الإهمال فى الاعمال العامة الزراعية والصناعية والتجارية ، نتيجة لضعف الحكومة وانشغال الحكام بمصالحهم الذاتية فى مصالح الشعب فى مجموعه ، كما ان ثروة البلد على قلتها كانت توزع توزيعا غير عادل إذ كان المماليك والعثمانيون يستعملونعلى النسبة العظمى من داخل اللاد مع قلة عددهمبالنسبة لعدد المصريين ، والنتيجة العامة لهذا هى انحطاط مستوىالمعيشة

الظواهر الاقتصادية ونتائجها :

كان الفلاحون والعمال يلبسون اردية من القماش الرخيص ويسكنون فى اكواخ ، ولم تكن معيشة الكفاف ميسورة إذا كانت المجاعات والاوبئة تنتشر بين آن وآخر فتحصر الآلاف من السكان ولم يكن من الممكن مقاومتها إذ لم يكن فى البلاد طب ولا اطباء ،وانما كان الناس متروكين لمدعى الطب من المنجمين والحلاقين وغيرهم . وكان الجهل متفشيا بحكم فلم يكن فى البلد معاهد للتعليم اذ

اهملت واستولى على دخل او قافها الحكام ، فتخربت مبانيها وتشرد معلموها ، وكان من الممكن ان تفقد مصر كل صلة عملية بين حاضرها وماضيها لولا بقاء الازهرالذى قاوم كل عوامل الفناء .وقد كان الحكام من العثمانيين والمماليك ، يعتبرون ان حالالمصربهى حالة طبيعية وانه مسخر للعمل من اجلهم ، وقد ادى ارهاق المصريين وعد العناية بشئونهم الى نتائج سيئة عديدة.

منها :

1 – عدم مقدرتهم على دفع الضرائب وادى ذلك الى تحملهم صفوف الاذى والذل التى كان الحكام يستعملونها معهم .

2 – قلة مقدرتهم على اللانتاج ، إذ فترت همتهم على العمل ، كما ان انخفاض مستوى المعيشة ادى الى تفشى الضعف والمرضوانحطاط قوى العمال الجسمانية التى لها نصيب كبير فى القدرة على العمل المنتج المجدى .

3 – تفشى الامراض الاجتماعية بينهم ، فقد اصابهم ضعف الارادة والافتقار الى الشجاعة الادبية وعدم الشعور بالمسئولية وغير ذلك من الصفات المرذولة كالجبن والكذب والتخلق والغش والنفاق مما هو اشد فتكا من الامراض البدنية ، مما هة نتيجة طبيعية الانتشار فى مجتمع تضيع فيه الحقوق وتنقض ابسط قواعد العدل الرغم من ذلك فقد كان هناك بعض المصريين يتمتعون بالغنى والترفه، ومن هؤلاؤ التجار والعلماء وطبقة العلماء ،بالرغم من ثقافتها واجتهادها فى التقرب من الحكام ورجال الادارة خوفا من الظلم الذى كان يحتمل ان يلحقهم

فيما لو خالفوهم ، كان اكبر الاثر فى تلبية المصريين وقيادتهم الى الحرية فى المدة التى تلت دخول الحملة الفرنسية.

الحالة الاقتصادية :أدى نظام الحكم العثمانى الى ضعف الحكومة المصرية وإهمال الاعمال العامة ، وتاخر الحالة الاقتصادية ونعنى بالحالة الاقتصادية طريقة حياة الناس فيما يحترفون ، أي فى أحوالهم المعيشية من حيث إنتاج الثروة وتوزيعها وتداولها واستملاكها .

الزراعة :

أدى ضعف الحكومة أيام الأتراك إلى إهمال مشروعات الريوالصرف فتأخرت الزراعة واستحالت أخصب البقاع إلى ما يشبهالصحارى الجرداء .

1 – ملكية الاراضى :

كانت النظرة السائدة فى مصر منذ القدم ان الحاكم هو المالك لجميع الاراضى . يتصرف فيها على احد وجهين : فأما ان يقسمها على اتباعه واعوانه ورجال حاشيته نظير ما يقومون به له من خدمات ، واما ان يقسمها بين الزراعيين الذين يستثمرونها نظيردفع الضرائب المفروضة عليها نقدا كانت او محاصيل زراعية .

كان أتباع الحاكم ورجال حاشيته يقسمون ما اعطى لهم من الاراضى على اتباعهم ، وهؤلاء يقسمونها مرة اخرى على آخرين ويستمر التقسيم حتى تقسم الارض نهائيا على الفلاحين الذين يقومون بزراعتها . وهذا يشبه ما كان يسمى فى اوروبا " نظام القطاع " .

وقد أبقى السلطان سليم _ حين فتح مصر _ هذا النظام وبذلك أصبح المماليك لجميع الاراضى وقد استخدمته فى هذا من عقائد هذا العهد الدينية والسياسية . غير ان السلطان كان يعطى الاراضى للناس لاستثمارها لان يستردها منهم ، وكان مستثمرو الاراضى يورثون حقهم فى الاستثمار لورثتهم .

ويمكن تلخيص نظام الملكية الزراعية فيما يلى :

1 – هناك بعض الاراضى معفاة من الضرائب كاراضى الوقف .

2 – توزيع الحكومة الاراضى على ملتزمى جمع الضرائب ، اى الذين يتعهدون بتحصيلها وذلك نظير ما يسمى " ثمن الالتزام "

3 – يوزع الملتزمون الاراضى على الفلاحين سيتثمرونها نظيردفع الضرائب التى يحصلها الملتزمون ، فالملتزم يعتبر مالكا لحينجمع الضرائب ،ويمكنه بيع هذا الحق او توريثه لورثته . والفلاح يعتبر مالكا لحين الانتفاع بالارض ويمكنه توريث هذا الحق لورثته ، غير انه اذا لم يكن للملتزم ورثه ، او توقف عن جمع الضرائب عادت اراضيه للملتزم ، وبهذا كان حق ملكية الارض نفسها محفوظا للحاكم .

وقد امر السلطان سليم بمسح الاراضى ، كما امر بتسجيلها ،وتسجيل اسماء مستثمريها ، وكانت الضرائب تحصلها عمال الحكومة تحت اشراف حاكم الاقليم ، غير انه فى اواخر الحكم التركى اضطرت الحكومة الى اتباع نظام جديد فى تحصيلها هو نظام الالتزام .

2 –اراضى الوقف :

كانت بعض الاراضى المصرية موقوفة ، والوقف هو تخصيص ربع الارض لغرض معين تبعا لادارة من يمتلك هذا الربع . وقد يخصص الواقف ربع الارض للصرف على عمل او اعمالل خبرته وهذا ما يسمى " الوقف الخيرى " . وقد يخصص الربعلافراد عائلة الواقف بشرط ان يصرف عند انقراض المستحقين الى وجه من وجوه الخير ، وهذا ما يسمى " الوقف الاهلى " وميزة الوقف ان الوارث لايستطيع التصرف فى الارض ،وانما له الحق فى الانتفاع بريعها فقط .وقد قام المماليك فى اول عهدهم بالحكومة المصرية بوقف بعض اراضيهم على المساجد وغيرها من وجود الخير ، كما ان الاتراك انفسهم اقبلوا على وقف بعض ما فى حيازتهم من الاراضى يدفعهم فى ذلك اعتقادهم انهم يعملون بذلك عملا صالحا يتقربون بهالى الله ، ويمكننا تفسير هذا الاتجاه اذا علمنا ما كان للعقيدة الدينية من تاثير على افكار الحكام والاهالى من سكان البلاد الاسلامية ،غير انه فى اواخر ايام الحكم العثمانى حيث عمت الفوضى ، خلف كثير من الناس على اراضيهم من الضياع ، نتيجة لطمع الحكام ، فاقبلوا على وقفها ، خصوصا وان اراضى الوقف كانت معفاة من الضرائب .

ونظام الوقف نظام متبع لادارةالاراضى الموقوفة ، وفى كل من نوعى الوقف _ الخير والاهلى_ يعين الناظر الذى يدير الاراضى ، من بين المستحقين فاذا انقرضوا كان للقاضى ان يعين ناظرا ، وكان النظار عادة يعينون من بين طائفة العلماء .وقد كان النظار من العلماء يستغلون الاراضى الموقوفة وينتفعون

بداخلها كما لو كانت املاكهم الخاصة وذلك نتيجة لتهاونالحكومة فى مراقبة الحالة .

3 – نظام الالتزام :فى بداية الحكم التركى ، كان يجمع الضرائب عمال الحكومةتحت اشراف حكام الاقاليم من السناجق والكشاف ، ولكن لما ضعفت تركيا اصبحت الحكومة عاجزة عن تحصيل الضرائب ، فقلت حصيلتها مما الجا الحكومة الى اتباع نظام الالتزام . والالتزام هو ان يتعهد من يشاء من عظماء البلد _ من المماليك او العثمانييناوالمصريين _ بتحصيلالضرائب للحكومة فى منطقة معينة تسمى "دائرة الالتزام " وكانالالتزام يتم إما بطريقة الاتفاق بين الحكومة والملتزم ،واما بطريقة المزايدة بين راغبى الحصول على حق الالتزام ، وفى كلتا الحالتين يدفع الملتزم ضرائب سنه واحدة مقدما ثم يترك له مطلق الحرية فى تحصيل ما شاء من الضرائب فى دائرة التزامه ،وكان الالتزام يعطى فى البداية لسنة واحدة ، ولكن أصبح فيما بعد يعطى لمدى الحياة . وكان الملتزم يتسلم " عقد الالتزام " من شيخ البلد ، وبهذا العقد يصبح الملتزم اشبه بالحاكم المطلق فى دائرة التزامه ، له الامر ، وعلى الاهالى طاعته وتادية ما يطلبه من الضرائب .

وكان الملتزم ان يبيع حق التزامه اذا شاء على شرط ان يخطر بيت المال وشيخ البلد واذا مات الملتزم ورثه فى الالتزام ورثته او من يوصى لهم بشرط ان يطلبوا تجديد عقد الالتزام .

وبهذا اصبحالنظام المالى العام اساسا للنظام الادارى ، كما كان له ان يستولىعلى غلات قسم من اراضى دائرة الالتزام _ يعرف بارض الوسية_ يسخر

الفلاحين لزراعتها ولا يدفع عنها ضريبة للحكومة . وكان الملتزم الى جانب هذا يتصرف فى جباية ما يشاء من الاهالى بدلا من "ثمن الالتزام " الذى كان يطرح للمزايدة بثمن اساسى يقدر بخمسة اضعاف الضريبة المقدرة على الارض التى ستعطى "وسية " للملتزم.واصبح الملتزم الموظف المكلف بتوطيد الامن ، وادارة قرى دائرة الالتزام ، وكان يعين من يشاء من الموظفين لمعاونته .وهؤلاء يقومون بعملهم تحت ادارته . ويمكننا ان نحدد من بين الموظفين :

1 – شيخ البلد :ويقوم بالاشراف على الاراضى ، ويراقب اهل القرية ، ويبلغ اوامر الملتزم للفلاحين ويعرض طلباتهم عليه ، ويقوم مقامه حين غيابه ،واذا عين الملتزم اكثر من شيخ كان اكبرهم سنا يسمى " شيخ المشايخ " .

2 –الشاهد : ويختص بحفظ سجل الاراضى الذى تدون فيها مساحتها واسماء مستثمريها من الفلاحين وفئات الضرائب المفروضة عليها

3 –الصراف : ومهمته جباية الضرائب طبقا للتوزيع المدونبسجل الشاهد وتسليمه ما يجنيه من الاموال عينا كانت او نقدا للملتزم .

4 –الخولى : ويلزم بمعرفة حدود القرية وحدود كل تكليف (اى ملكيته)،وهو الحكم فيما يقوم من المنازهاتفى هذا الشان ،وعليه فوق هذا ان يقوم بادارةاراضى الوسيه .

5 –المشد : ويقوم بتنفيذ ما يوقعه الملتزم من العقوبات على الفلاحين الذين يتوقفون عن دفع الضرائب او يحجبون عن اداء ما يطلب منهم من عمل

فاراضىالوسية او يهملون فى هذا العمل ،وكان الجلد هو العقوبة الشائعة التى يتعرض لها الفلاحون .

6 –الكلاف : ويعنى بمواشى وقطعان غنم الوسية ويقوم بتطيبها ، كما يقوم بعلاج مواشى الفلاحين التابعين لدائر الالتزام .

والى جانب هؤلاء كان يوجد خفراء واما ونجار وحداد وحلاق ، يتناولون مرتبا من القرية ويلزمون بالقيام بما يحتاجه الاهلى ،كل بقدر ما تسمح به مهنته .

الصناعة :

قبل الفتح العثمانى كانت الصناعات فى مصر بدووية ، ومن اهم عوامل نجاحها قرب السوق اذ كانت المنصوعات توزع فى الاسواق المحلية . والذى ساعد على تقدمها خضوعها لنظام الطوائف اذ كان لكل حرفة طائفة ، ولكل طائفة شيخ ينظر فى شئون افرادها ويفصل فى منازعاتهم ويدافع عن مصالحهم . وكانت الحرف فى مصر وراثية تنتقل من الاب الى ابنه ، فكان التعليم الصناعى بهذه الطريقة يلازم الصبى فى دائرة اسرته ، وقد ادى تدخل الاتراك فى نظام الطوائف الى تحولها من الغرض الذى انشئت من اجله _ وهوالتخصص والرقى للحرفة _ الى غرض آخر وهو التحكم فى الصناع وادارتهم طبقا لرغبات الحكومة التى كان ما يهمها الحصول على الاموال باى سبيل .

ويمكننا تلخيص عوامل اضمحلالهذا النظام وانحلاله فيما يأتى :

1 – وضعت الطوائف تحت إشراف الحكومة فتسربت سلطتها الى قوانينها الداخلية ، واصبح عمل شيخ الطائفة ينحصر فى جمع الضرائب، فاصبح فى امكانه ان يرهق مرءوسيه ان اراد بهمظلما .

وقد ادى هذا الارهاق الى خروج جماعة من مهرة الصناعمن زمرة المحترفين بحرفتهم نتيجة لعجزهم عن دفع ما يطلب منهم . وبعد ان كان الشيخ رجلا فنيا يعمل طبقا لتقاليد الحرفة اصبح اشبه بوظف حكومى ينحصر غرضه فى ارضاء موظفىالادارة ورجال الحكم الذين لا يهمهم امر الصناعة ، كما ان التزامه يجمع الضرائب ، وترك الحرية له فى طريقة جمعها زاد فى عبء الضرائب على الصناع زيادة كبيرة .

2 – اصبحت وظيفة شيخ الطائفة مع الايام عرضه لان يشتريها من يدفع فيها اكبر ثمن ، واصبح هم المشايخ تحسين اموالهم بدلا من تحسين حال الحرفة فتاخر الصناع واضمحلت الصناعة .

3 – كان للشيخ فى البداية سلطة معاقبة افراد الطائفة (اى طائفته)، اذا خرجوا عن تقاليد الحرفة ، ولكن حين اصبح عمله اداريا اهملت هذه الناحية ، فبقى افراد الحرفة دون مراقبة جدية ، فتهاون الكثير منهمفى عملهم وفى معاملاتهم وباحوا باسرار مهنتهم وقلت حماستهم .

4 – اصبح نظام الطوائف اداريا محضا بعد ان كان فنيا مما ادى التكوين طوائف لغير الصناع كالخدم والحمالين والممثلينوالمغنيين والحلاقين والسقايين

وغيرهم من اصحاب الحرف وكان من نتيجة هذان فقد نظام الطوائف ما كان له من التقدير .

*عوامل اضمحلال الصناعة :

كان انحلال نظام الطوائف عاملا من عوامل ضعف الصناعة وتاخرها ايام الاتراك وفقدانها لما كان لها من المكانة قبل هذا العهد، وبانحلال هذا العامل مع عوامل اخرى وصلت الصناعة الى درجة يرقى لها منالانحطاط الذى كان فاتحته ترحيل امهر الصناع البالقسطنطينية ، اذ ان السلطان سليم اخذ معه حين رجوعه الى مقر السلطنة ما يقرب من الخمسمائة من اقدر ارباب الحرف للاستعانةبهم فى ترقية مستوى الصناعة فى بلاده . وكان لضعف الحكومة اثره فتاخر موارد الانتاج التى منها الصناعة ، فقد اهمل الولاة العثمانيون امر الحرف المختلفة وفتح الباب للواردات الصناعية الاجنبية التى طغت على المصنوعات المحلية ، وانتصرت عليها فى ميدان المنافسة .وكان الجيش والاسطول فى عهود الاستقلال التى سبقت الفتحالعثمانى ، اساسا لكثير من الصناعات الحربية ، كالاسلحة والسروجوالتروس والدروع والخيام وصناعة السفن فلما فقدت البلاداستقلالها واضمحل جيشها واسطولها تاخرت الصناعات التى كانت تقوم على وجودها والتى كانت من اهم فروع الصناعة . كما ان انتقال مقر الملك الى القسطنطينية ادى الى الانصراف عن كثير من مظاهر الترف التىهى من لوزام الملك ، فتاخرت الصناعة الخاصة بالكماليات .

*التجارة :

فى هذا العهد تاخرت التجارة نتيجة لتحول طريقها فى مصر الى طريق راس الرجاء الصالح ، التى خسرت البلاد من جرائهمواردا من اهم موارد ثروتها ان لم يكن اهمها كلها وبذلك قلت قوة البلاد الشرائية وقل الاقبال على منتجات الصناعة ، واصبح منالعسير تصريف المصنوعات المصرية التى كان فالماضى تلاقى رواجا فى كثير من الاسواق الاجنبية .

الفصل الرابع

ليبيا تحت الاحتلال العثماني

لم يختلف الحكم العثمانى فى ليبيا فى هذه الفترة عنه فى غيرها من الولايات العثمانية، فقد عين العثمانيون والياً لحكم هذه الولاية، وكان القائد البحرى العثمانى "طرغود" أول والٍ عثمانى عليها(19).

عمل طرغود بمجرد وصوله إلى طرابلس على تثبيت الحكم العثمانى فى كل ليبيا، ومن حسن الحظ أن زعماء وقادة البلاد الليبية فى الشرق والجنوب بعد أن علموا بوصول طرغود وتسلمه الولاية قدموا جميعاً فروض الولاء للحكم العثمانى، وجاراهم فى ذلك هذا سكان جهات الدواخل الطرابلسية.

ولم تقف جهوده عند هذا الحد فقد ضم إليه جزيرة "جربة" وضم تونس كما ضم القيروان وسفاقس، وكون اسطولاً بحرياً وجعل مدينة طرابلس القاعدة البحرية الأولى للأسطول العثمانى، واهتم بالنشاط العمرانى فى جميع النواحى؛ فنشطت الزراعة والتجارة وحركة المبانى وقلت الضرائب وعم الرخاء بسبب الثروة التى كان يحصل عليها من السفن الأوربية، وتمتعت البلاد فى عهده بالأمن والطمأنينة، وبنى فى مدينة طرابلس مسجداً ما زال يعتبر من أعظم المساجد بها ويُعرف باسمه إلى الآن(20).

فى عام 1563م اتفقت حكومة أسبانيا وجنوه وفرنسا ومالطة على طرد المسلمين من الشمال الأفريقى، ولما بلغ الأستانة الخبر أرسلت الحكومة العثمانية

عام 1564م، أسطولاً إلى مالطة حاصرها واستنجد الأسطول العثمانى بطرغود الذى ذهب فى اثنتى عشرة سفينة، واشترك فى حصار مالطة، ولكنهم لم يتمكنوا من التغلب عليها واستشهد طرغود فى احدى المعارك عام 1565 ودفن فى طرابلس(21).

كان الولاة يأتون من استانبول مصحوبين بفرامانات سلطانية، وكان الوالى (الباشا) يستعين فى إدارة الولاية بمجلس الديوان ويرأسه الداى، وبالحامية الإنكشارية والتى يرأسها الباى، وكثيراً ما كان الداى والباى يستأثران بالحكم الفعلى فى حالة ضعف الباشا، وكثيراً ما كان يحدث الخلاف بينهما، وكانت طائفة الإنكشارية بعد وفاة طرغود سبباً فى اختلال الأمن وقيام الثورات فى كل من طرابلس وبرقة وفزان وذلك بسبب تمردهم وتدخلهم فى شئون الحكم(22).

ونظراً لحرص السلاطين على تقصير مدة الولاة حتى لا يستقل الواحد منهم بولايته، فإن عدد من تولى ليبيا من الولاة فى هذه الفترة(1551-1711)م بلغ ثلاثة وأربعين والياً، واقتصر هم الكثير منهم على تحصيل الأموال وامتصاص الدماء، ولكن لا يمكن أن ننكر أنه كان من بينهم من اشتهر وامتاز بالشجاعة والأعمال المجيدة، أمثال:

- "محمد التركى" (1578-1586)م: وفى عهده أخضعت فزان لولاية طرابلس.
- "جعفر باشا" (1586-1631)م: وفى عهده قام يحيى السويدى بثورة واستولى على "مسلاته"

و"تاجوراء" وحاصر مدينة طرابلس، وكان سبب ثورته كثرة مظالم الجند الإنكشارية، ولكن قبيلة المحاميد تحالفت مع الترك ضد السويدى حتى أُسر وقُتِل، ولما بلغ السلطان "مراد الثالث" هذه الأخبار أمر الوالى جعفر بأن يعطى المحاميد امتيازات كبيرة على أراضى إقامتهم، فكان هذا سبباً فى نفوذ المحاميد القبلى فى العهد العثمانى الأول[23].

- "محمد باشا الساقزلى" (1631-1649)م: وفى عهده كانت برقة غير خاضعة لحكم العثمانيين، فظهر فيها "أحمد عبد الهادى" الذى قام بثورة فى الجبل الأخضر وتمكن من الإستيلاء على "برقة" و"أوجلة"، فبعث إليه محمد باشا جيشاً بقيادة "عثمان الساقزلى" تمكن من القضاء على ثورته وعاد إلى طرابلس[24].
- لما تولى "عثمان باشا الساقزلى" باشوية ليبيا عام 1649م كانت ليبيا قد أصبحت ولاية واحدة، وإليه يرجع الفضل فى إلغاء الكثير من الضرائب وتشييد القلاع للدفاع عن البلاد والإهتمام بنشر

العلم؛ فقد أسس مدرسة فى طرابلس تُعرف باسمه بمحلة باب البحر وفى تأليف أسطول مكون من 24 قطعة حربية، وتوفى فى سنة 1672م.

مرت على ليبيا 16 عاماً بعد وفاة عثمان تولى فيها 12 والياً بسبب الاضطرابات المستمرة، وظل الحال كذلك إلى أن تولاها محمد باشا المُلقب بشائب العين عام 1688م، وقد بقى فى ولايته 24 عاماً كانت له فيها أعمالاً جليلية فى ليبيا، منها إهتمامه بالناحية الإقتصادية؛ فشجع الزراعة، واهتم بالأمن فراجت التجارة بين ليبيا وأواسط أفريقيا، واهتم بالمبانى فشيد مسجده بسوق الترك المعروف باسمه، اهتم بتحصين السواحل وبتقوية الأسطول.

ولقد تمكن أيضاً من القضاء على كل الثورات التى قامت فى بعض الجهات، مثل: ثورة الناصر فى فزان، وثورة المنصور بن خليفة فى سرت وغيرها(25)، ظل شائب العين فى الولاية حتى عزله الجند فسافر إلى استانبول وبقى هناك حتى تولى صهره ولاية ليبيا فاستدعاه للإقامة معه فى طرابلس، ومات زدفنبجامعه المعروف باسمه.

- لمات تولى خليل باشا أمر ليبيا من قِبل السلطان مصطفى خان الثانى، تابع فى أعماله خطة شائب العين، والتى كان من أهمها: إنشاء دار لسك العملة، ومسجداً بطرابلس، واهتم بالبحرية الليبية.

- فى نهاية عهد خليل باشا قامت ثورة بشرق طرابلس قام بها رجل يدعى الصنهاجى، فلما اتجه خليل للقضاء على هذه الثورة، انتهز إبراهيم الأركلى أحد الإنكشارية فرصة انشغال خليل بالثورة، واستولى على طرابلس، ونصب نفسه والياً عليها، وأرسل جيشاً بقيادة أحد أتباعه (قرة محمد) لمحاربة خليل الذى هرب إلى استنابول، واتجه قرة محمد إلى الصنهاجى، فقتله ولكن الأركلى جزاه بنفيه إلى تونسخوفاً من بطشه ونفوذه[26].

أدى ضعف الدولة العثمانية وانهيار تنظيمات الحكم العثمانى إلى استئثار الكثير من قادة الجند أو زعماء العصبيات المحلية بالسلطة المحلية فى بلادهم، ومن بين هؤلاء كان أحمد القره مانلى(27)وهو أحمد بن يوسف بن محمود بن مصطفى القره مانلى نسبة إلى قبيلته العروفة بهذا الاسم بالأناضول(28).

ويذكر المؤرخون أن اسم قره مانلى يرجع إلى انتماء الأسرة إلى بلدة "قرمانيا" الواقعة جنوب هضبة الأناضول بآسيا الصغرى؛ فهو تركى الأصل(29)، وينتمى أحمد القره مانلى إلى أسرة تركية هاجرت إلى ليبيا واستوطنت طرابلس، وقد تولى عدة مناصب عسكرية، واستطاع بسياسته أن يتقرب إلى الجنود والشخصيات البارزة فى البلاد، ولم يظهر رغبته فى الوصول إلى الحكم فأحبه الجند وزعماء البلاد ما عدا "محمد أبو ميس" الذى فكر فى التخلص منه فأرسله

على رأس قوة إلى إقليم "غريان" فى الداخل، وقيل أنه كان قد أرسل لعاملها سراً بقتله هناك حتى لا ينازعه السلطة.

تسرب الخبر إلى بعض أعيان طرابلس من المقربين إلى أحمد القره مانلى، فأرسلوا له على الفور يلفتون نظره إلى ما هو مدبر له، ويدعونه للعودة إلى العاصمة فعاد إليها، ولما عرض الأمر على مجلس الديوان، وتحقق من صحتها ثار الجميع ضد أبو ميس، وثاروا بأحمد القره مانلى والياً على البلاد فى يوليه 1711م، وذلك بموافقة أعضاء الديوان وأعيان البلاد، فانتحر أبو ميس خوفاً من وقوعه فى قبضة أحمد القره مانلى(30).

ولقد اجتاز أحمد القره مانلى الكثير من الصعاب حتى تمكن من تثبيت دعائم حكمه، ومن هذه الصعوبات ما يلى:

أرسل السلطان العثمانى أحمد خان الثالث "خليل باشا" صهر شائب العين إلى طرابلس بهدف إعادته والياً عليه، ودارت حرب بين الطرفين انتهت بقتل خليل باشا، وكان لزاماً على أحمد القره مانلى أن يعمل جاهداً لاسترضاء السلطان حتى يجعله والياً؛ فأعلن ولاءه للسلطان العثمانى وبعث بهدايا للسلطان مع تكليف الأهالى بكتابة العرائض إلى الباب العالى طالبين منه تولية أحمد القره مانلى فتم تثبيته فى ولاية البلاد(31).

ركز أحمد باشاً جهده فى القضاء على الصعوبات الداخلية، فكانت التخلص من الضباط الإنكشارية الطامعين فى الحكم والراغبين فى بقاء أمر تولية الولاة بأيدهم، وقد استطاع أحمد القره مانلى تدبير مذبحة لهؤلاء الضباط فى منزله

الريفى قرب ضريح سيدى الهانى بالمنشية بعد أن أقام حفلة كبيرة لحوالى 300 ضابط من قادة جند الإنكشارية الذين يخشى وقوفهم ضده، وبعد الحقل ذبحهم رجاله(32)، وبذلك تخلص من المناوئين له من أصحاب العصبيات فى البلاد، وضرب على يد العابثين بالأمن فيها، وعكف على تنظيم شئونها .

وحرص على تدعيم وحدة ليبيا بولايتها الثلاثة، فنشر سلطانه إلى برقة واستطاع أن يستعيد السيطرة على إقليم فزان الذى كان بعيداً عن السيطرة الكاملة للحكم التركى، وعليه فتحت طرق التجارة عبر الصحراء من أفريقيا، وسارت القوافل بين طرابلس والمدن الإفريقية فى جنوب وغرب القارة، وكانت هذه القوافل ثلاث الأولى تتجه جنوباً عبر واحة فزان إلى بحيرة تشاد، والثانية تنعطف نحو الجنوب الغربى عبر غدامس وغات إلى تمبكتو، والثالثة تسير فى اتجاه الجنوب الشرقى عبر واحة الجفرة ثم سواكن و زيلا إلى ودافور الخصب والغنى بالثروات(33).

وعين أحمد باشاً أخاه (شعبان بك)عاملاً عنه فى برقة وبنغازى ليعمل على استتباب الأمور هناك، كما ضرب على أيدى قطاع الطرق لضمان سلامة القوافل التجارية عبر الصحراء لبلاد السزدان ولممالك وإمارات غرب أفريقيا، وذلك حتى يُعيد الرواج الإقتصادى للبلاد.

كما أجبر الدول الأوربية على دفع الجزية لضمان سلامة أتباعها، فكانت هذه الجزية بالإضافة إلى مثيلتها من القبائل العربية وضريبة الرءوس التى تفرض على غير المسلمين تمثلأهم مصادر الدخل فى الدولة، وحرصت الدول الأوربية

لرعاية مصالحها، على تعيين قناصل لها فى طرابلس، وساعد استتباب الأمن واستقرار الأوضاع بالإضافة إلى الأحوال المناخية الملائمة على وفرة الإنتاج الزراعى وانتشاء الرخاء(34).

أما المناطق البعيدة فى ليبيا فقد انتهزت فرصة انشغال أحمد باشا فى تثبيت ولايته، وقامت بالثورات فى جميع النواحى وتمكن فى عام 1725م من القضاء على المشاغبات التى قامت بمنطقتى تاجوراء وترهونة، كما أنه ذهب بنفسه فقضى على ثورة قام بها العرب فى بلاد مسلاته، كما تمكن منالقضاء على ثورة الصنهاجى بجبل نفوسة والتى امتدت حتى الجبل الأخضر.

وقضى أيضاً على ثورة التركى الأدغم فى برقة 1732م، وعلى ثورة أحمد الرئيس فى جبل نفوسة عام 1733م(35)، حتى دانت له البلاد واستتب له الأمر، كانت هذه الثورات كافية للقضاء على الأسرة القره مانلية، ولكن من حسن حظ أحمد باشا أنها لم تقم فى وقت واحد ولا فىمكان واحد، لذلك كان من السهل القضاء عليها حتى استقرت له الأوضاع غانصرف إلى العناية بالإصلاحات(36).

ومن مآثر أحمد قره مانلى الجامع الذى بناه قرب باب المنشية، وقد أوقف عليه الكثير من الأوقاف، كما بنى برجاً فى الجهة الغربية من ميناء طرابلس على جزيرة الساحل(37)، واهتم أحمد باشا بتوفير المال عن طريق تجارة القوافل، وتأمين طريقها فى الصحراء والتحكم فى منافذها، ونتيجة لذلك استفادت البلاد الكثير من دخل هذه التجارة، وانتعشت حالة الأهالى الإقتصادية وزادت أموال الخزينة(38).

واهتم أحمد باشا بتدعيم وتقوية البحرية الليبية، إذ أنها القوة التى كانت تعتمد عليها الدولة لنشر سلطانها فى البحر المتوسط والثغور الهامة به، وعليها تعتمد هيبتها أمام الدول الأجنبية، بل إن هذا الأسطول حمى البلاد من خطر إغارة السفن الأوربية على السواحل الليبية(39).

لما توافر المال لدى الباشا عن طريق تجارة القوافل وعن طريق أموال الغنائم، بدأ فى الإنشاء والتعمير، فزود طرابلس بمورد مائى عذب دائم لسد حاجة السفن وتجارتها، ثم بدأ فى بناء جامعه المشهور عام 1737م على أنقاض المسجد الذى أسسه سيدنا عمرو بن العاص عند فتحه مدينة طرابلس، ويعتبر هذا المسجد تحفة فنية رائعة، ويدل على حالة الرخاء والتقدم التى كانت عليها البلاد، ولقد ألحق بهذا الجامع مدرسة أوقف عليها الأوقاف الكثيرة تحت اسم كلية أحمد باشا، وكانت تستمد نفقاتها من الأوقاف المخصصة لها(40).

اهتم أيضاً أحمد باشا بترميم الحصون والقلاع لصد أى هجوم مفاجئ، وأصلح قلعة طرابلس وجهزها بكل ما تحتاجه إليه من مدافع، ثم أسس داراً للصناعة والسفن بالميناء (ترسانة) والتى عظم شأنها بفضل ما أنتجته من سفن، كما اعتمد أحمد باشا على العنصر الوطنى فى الجيش وإدارة شئون البلاد، وبذلك فتح باب الخدمة والترقى أمام أهل ليبيا، فأحبه الناس لاسيما بعد أن جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية، ونجح لدى السلطان العثمانى فى جعل ليبيا وراثية لبنيه(41).

وهكذا نجح أحمد باشا القره مانلى فى تدعيم سلطته فى ليبيا، وفى نشر الأمن والسلام والهدوء فى ربوع البلاد، ولذلك استمر والياً إلى أن توفى فى عام 1745م، ودفن بجامعه بعد أن حكم ليبيا 34 عاماً، ولقد خلفه فى الولايهابنه محمد باشا القره مانلى.

الفصل الخامس

تونس تحت الاحتلال العثماين

البايات فى تونس :

يبدأ تاريخ تونس الحديث منذ أن تم ضمها إلى الدولة العثمانية عام 1573 ، إذ استطاع العثمانيون طرد الأسبان الذين دخلوا تونس على أثر استنجاد الحسن الحفصى بهم ودخول القائد العثمانى (دارغوث باشا) القيروان (1) ، بل ملأ دارغوث الفراغ السياسى والحربى فى تونس على نحو ما فعل الأخوان بابا عروج وأخية خير الدين بربروسا ، وغدا منافساً خطيراً لأندريا دوريا فى البحر المتوسط واتخذ من طرابلس قاعدة عسكرية من قواعد الجهاد الدينى البحرى، واستطاع القائد سنان باشا الاستيلاء على الحصون ، وأسر محمد الحفصى فى نفس العام ، واعتقله بالآستانة حيث توفى ، وبذلك انتهى عصر الدولة الحفصية التى حكمت تونس ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين عاماً (2) .

ظلت تونس موضع صراع بين التونسيين والأسبان – والعثمانيين حتى استطاع القائد سنان باشا فى 1574 أن يستولى عليها (3) .

جاء القائد سنان باشا إلى تونس ووضع نظاماً لحكمها ، على رأس هذا الحكم الوالى الذى لقب بالباشا يمثل السلطان العثمانى ، على أن يساعده ديوان استشارى مكون من ضباط عسكريين ، وموظف يدير الشئون المالية يلقب (بالباى) وكان يجب أن يتكون هذا النظام من عناصر يوازن

بعضها بعضاً مما يساعد على بقاء الدولة العثمانية مستقراً فى البلاد ، لكن الأمور تطورت على غير ما يظن.

لم يلبث الدايات (الداى إبراهيم ، الداى موسى ، الداى عثمان الذى حكم 16 سنة وهو أشهرهم ، والداى يوسف حكم مايزيد على سبع وعشرين سنة) أن استأثروا بالحكم دون الوالى الباشا ، فكان أول من تولى من هؤلاء (إبراهيم رودوسى) ودام حكم الدايات من 1539 إلى 1590 (4) حين اختار التونسيون أحد رجالهم العسكريين حاكماً لولايتهم باسم " الداى " بموافقة الحكومة العثمانية.

ما لبث أن ظهرت سلطة أخرى غلبت على سلطة الدايات هى سلطة الباى ، تميزاً عن لقب حاكم الجزائر (5) ، وأصبح الحكم فى البلاد لهؤلاء البايات ، وقد حكمت منهم أسرتان أولاهما هى الأسرة المرادية من عام 1637 – 1702 ، وثانيهما الأسرة الحسينية التى حكمت من عام 1705 – 1957.

وكان أول بايات الأسرة المرادية (اسطا مراد) وقد منحته الدولة العثمانية لقب باشا ، ولكنه توفى فى نفس السنة ، وتولى الحكم بعده ابنه (حموده) الذى يعد المؤسس الحقيقى لأسرة البايات المرادية ، أما أسرة (البايات الحسينية) فكان مُنشئها (حسين بن على تركى) الذى بويع بالولاية عام 1705 ، وأصبحت الولاية وراثية من بعده ، وقد بقيت هذه الأسرة تحكم البلاد إلى قيام الجمهورية التونسية عام 1957 (6) .

وبعد أسطا مراد ضعفت سلطة الدايات وعلا شأن البايات ، وخلال فترة حكم الدايات التى دامت نصف قرن ، حصلت فى تونس أحداث مهمة ذات تأثير فى الفترات التاريخية التالية من أهم هذه الأحداث وأكثرها تأثيراً على حياة البلاد التونسية قدوم حوالى ثمانين ألف مهاجر من الأندلس عام 1609 .

استطاع عثمان داى أن يستفيد من ذلك الحدث إلى أبعد الحدود ، وجعل من تلك الهجرة انطلاقة اقتصادية وعمرانية وحضارية للبلاد التونسية ، حيث شيدوا القرى واهتموا بالزراعة وأسسوا المدن مثل (سليمان وقربنالية والجديدة وزعوان وطبرقة ومجاز الباب وتستور وقلعة الأندلس وغيرها ، وأسسوا بعض الصناعات مثل صناعة الشاشية (كمة أو قلنسوة رجالية بدون حافة ناتشة ، حمراء اللون فى الغالب ، استعمال تونس) ، ونسج الحرير ونقش الرخام والجبس .

وقد نقل إلى البلاد عنهم أصول تلك الحرف حتى أتقنوها ، إلى جانب الإفادة من هذه الهجرة المهمة قام البايات ببعض الأعمال التى تدل على حكمهم القوى ، فقد أخمد الداى عثمان ثورات القبائل والعروش داخل البلاد ومهد الأمن والثروة بعهد صهره يوسف داى ، وفى عهد الباى الأخير وقع خلاف شديد بينه وبين داى الجزائر بسبب حدود البلدين أدى إلى قيام حرب انتهت بانتصار الجزائريين ، وتم تدارك الأمر بعقد صلح حقناً للدماء عام 1627 ، وعلى يدى هذا الباى استرجعت تونس جزيرة جربة التى كان قد استولى عليها حكام طرابلس (7) .

ويعتبر الباى أسطا مراد أول من سلب الدايات سلطانهم وأسس أسرة البايات المرادية ، وتولى إدارة المالية ، ثم أمير الحج فى أيام الداى يوسف ، فلما مات يوسف استأثر بالحكم بينما ظل الديوان أو المجلس الادارى قائماً يعين داى بعد داى ، حتى بلغ عدد الدايات فى عهد الأسرة المرادية التى عاشت نيف وستين سنة ، أربعين دايا وكلهم قتلوا بأمر المجلس ، ولما رأت الدولة العثمانية بأن مراد باى هو المسيطر الحقيقى على البلاد منحته لقب باشا عام 1640 ، فتنازل حينذاك عن البكوية وما فيها من قيادة جيش وإدارة مال لابنه حمودة وأصبح هو الحاكم الأعلى الرمزى ومات فى نفس السنة .

أما الباى أبو محمد حمودة باشا الذى تولى الحكم بعد أبيه ، فقد رخى العنان للدايات فى تصرف جند الثغور البحرية ، وألف فرقة من الجنود السباهية ، وبهذه الفرقة استطاع أن يقضى على عصيان القبائل العربية ، وبعد أن هدأت الأمور بنى مسجده المجاور لمقام الولى سيدى أحمد بن عروس ، ومستشفى وأوقف عليها أوقافاً نافعة ، كما أوقف للحرمين الشريفين ، وأكرم العلماء ، وحصل على لقب باشا عام 1657 ، وتنازل عن السلطة لأولاده وتوفى عام 1666 .

تولى ابنه مراد ، الذى حدث بينه وبين أخويه نزاع وتغلب عليهما ، وقضى معظم وقته فى صراع مستمر مع الجند والعصابات والمنافسين والطامعين ، وتغلب عليهم جميعاً ، وقد ثار عليه الجند فى إحدى الثكنات فى العاصمة واستطاع أن يقضى عليهم ثم هدم الثكنة وبنى على أنقاضها المدرسة المعروفة باسم المدرسة

المرادية ، وترك بعض الآثار العمرانية مثل جسر على نهر مجردة والمسجد الحنفى فى باجه ومسجد قابس وتوفى فى عام 1675 بعد أن حكم نحو إحدى وعشرين سنة (8) .

بويع بعد ذلك محمد باى بن مراد فى الديوان ، ولكنه خرج هارباً ومعه بعض خواصه ، وهذا ابتداء الخلل فى الدولة المرادية ، وواجهته بعض المشاكل مع عمه وابن أخيه الذى انضم إليه الجند ، فلجأ إلى الخداع فكاتب ابن أخيه ، يخبره أنه خلع نفسه ويسلم الأمر إليه ويطلب منه الحضور ، ولكن ابن أخيه اشترط ألا يدخل المدينة إلا إذا خرج عمه وتظاهر بالموافقة وعند دخوله بدأ القتال بين الطرفين وانتصر عليه ، وعقد ديواناً بباردو وبويع بالولاية عام 1675 ، وفعل الشئ نفسه مع عمه ، وفرض على ابن أخيه إقامة جبرية وهرب إلى أمير قسنطينه ، ودعى إلى عقد اجتماع آخر بجامع الزيتونة وبويع للمرة الثالثة .

وفى عام 1699 تولى ابن أخيه مراد بن على ، وبدأ حياته بالانتقام من عمه وقتله ومثل به ومن تبعه ، وأتى وفد انجليزى وعقدت معاهدة للتبادل التجارى والصلح بين الطرفين وتم تبادل الهدايا ، وكان يعبث بالعلماء ويمتهنهم ويُكره بعضهم على شرب الخمر وأنزل العقاب بأهالى باجه والقيروان ، وقد أرسل وفداً ومعه الهدايا إلى الجزائر ، ولكن حاكمها ردها إليه فاستشاط غضباً ، وعزم على غزوهم ، وطلب من والى طرابلس الغرب التعاون معه ، وسار بجيشه إلى قسنطينة وهزمهم ولكن وصلت النجدة من حاكم الجزائر.

حدثت معركة كبيرة تعرف بجوامع العلماء وهُزم مراد وقتل معظم جيشه وعندما رجع الحاكم إلى الجزائر ، كافأ خليل باى طرابلس بإعطائه القيروان ، وأطلق يده فنهبها وسبى النسوة والذرارى ثم عاد إلى بلاده ، ثم أمر أهل القيروان بهدمها وتخريبها فصاروا يهدمون بيوتهم بأيديهم ، ولم يترك بناءً قائماً ، إلا الجوامع والزوايا .

ولما قتل مراد باى تولى إبراهيم الشريف ويعتبر من الباشوات العثمانيين الذى بدأ ولايته بالعدل والرفق بالرعية ، ثم سرعان ما تحول وظلم الرعية واتبع سياسة السلب والنهب والقتل ، وبدأ الناس يترحموا على أيام مراد من ظلم العثمانيين ، وثارت عليه القبائل العربية ولكنه قضى عليهم .

على الرغم من ذلك قام بإصلاح أبراج المهدية والمنستير والحمامات وقليبية وأقامها وعمل على صيانة الحصون ، وأصلح مرسى بنزرت وغار الملح ، وأرسل حملة لقتال والى طرابلس وهزم خليل باى فى أكتوبر 1704 وحاصر طرابلس ، ولكن طلب الأهالى الصلح وكان ذلك بواسطة كخيته حسين بن على ، ولكنه رفض الصلح ، وحذره وهرب منه بعض الأعراب الذين كانوا يؤيدونه ، ثم فك الحصار عن المدينة ذفى يونيو 1705 وعاد إلى تونس ، ولكن الأمور اضطربت مع الجزائريين ، وعلم أنهم قد أعدوا حملة لغزو تونس. قامت معركة بين الطرفين قتل فيها الكثير، وطلب حاكم الجزائر الصلح ، إلا أنه طلب منه مبلغاً كبيراً من المال والبعير وإرسال أولاده ليكونوا رهينة عنده ورفض ذلك، وكان الواسطة هو

حسين بن على ووافق على الصلح، ولم ينتظر إبراهيم الشريف عودة الوفد وأمر بالاستعداد للقتال، ودار القتال وانتهى ذلك بأسره فى أيدى الجزائريين(9) .

ومع ضعف الأسرة المرادية تمكن أحد الضباط من فرقة الانكشارية وهو حسين على من الاستيلاء على السلطة ، وكان من أصل أرناؤوطى وتمكن من توريث السلطة لأبنائه من بعده ، وبشكل جعلهم يسمون الأسرة الجديدة باسمه – أى الأسرة الحسينية – وقد احتفظت الأسرة الحسينية فى تونس بمظاهر الحياة التركية ، سواء فى قصورها أو فى طريقة معيشتها (10) .

تمكن الباى حسين من طرد قوات الجزائر ، واستطاع عن طريق كسبه للدعم المحلى ، نتيجة لقيامه ببعض الإصلاحات ، أن يحسن من صورته كحاكم مسلم ، وتمكن بفضل المساندة المحلية من إرجاع الوالى العثمانى الذى عينه السلطان على تونس ، وتصرف البايات الحسينيون كمستقلين فى شئونهم عن الدولة العثمانية ، فعقدوا المعاهدات وأعلنوا الحرب دون الحصول على موافقة السلطان ، ورغم ذلك فقد ظلوا يعترفون بالسلطة الاسمية للسلطان (11) .

وشهدت البلاد حالة من الرخاء الاقتصادى ، حيث نشطت الزراعة ، وأدخل بعض المحاصيل الزراعية الجديدة ، وألغى بعض الضرائب على الفلاحين ، وعمل على تحسين الصناعة والعملة حيث جعلها من الذهب والفضة ، كما عمل على نشر العدل واستتباب الأمن ، وكرم العلماء وأمر بعمار القيروان ، وصيانة مبانى جامع الزيتون.

أنشأ أيضاً العديد من المدارس مثل المدرسة القريبة من جامع الزيتونة والمعروفة بمدرسة النخلة ، ومدرسة ساباط المعروفة بالحسينية الصغيرة ، ومن الجوامع جامعه المعروف بالجامع الجديد ، ومدرسته وتربته إلى جواره ، ومدرسة صفاقس ، والقيروان ، وبنى القناطر منها قنطرة أبى حميدة ، والفحص المعروفة بقنطرة الذبانه وقنطرة القديم بطريق الكاف وقنطرتان براوس وقنطرة المنارة بسوسة ، وغير ذلك . ولكن انتهت حياته بالقتل فى إحدى المعارك عام 1735 بينه وبين ابن أخيه الذى تمرد عليه قرب القيروان ، وفر أولاده إلى المغرب يستنجدون بأميرها ، فلم ينجدهم حتى لا تفسد علاقاته مع داى الجزائر فلجأوا إلى والى قسنطينة لصداقة بينه وبين على باشا فسكتوا يترقبون الفرص ليثوروا ويعلنوا عصيانهم ، حيث تولى زعامة هذه الثورة أحمد باشا أحد أولاد على باشا المسمى يونس.

استولى أحمد على دار الحكومة ووقف فى وجه أبيه ، وانقسمت العاصمة إلى فريقين ، وسالت الدماء فى الأسواق ، وانتهى الأمر بفوز الأبن وفر يونس إلى القيروان حيث طلب اللجوء من والى قسنطينة فأجابه ، ولكن أساء الظن به فأساء معاملته وسجنه حتى مات (12) .

توالى أفراد الأسرة الحسينية على الحكم فكان منهم بعد حسين باى أخوه على باى الذى حكم فترة طويلة من 1729 – 1782 والذى شهد عهده سلاماً مع الدول الأوربية خاصة بريطانيا وفرنسا ، وخلفه حموده بن على من 1782 – 1814 الذى استطاع حل فرق الانكشارية وتشتيت أفرادها بتأييد

التونسيين ، كما استطاع إنهاء العلاقة الخاصة التى تربط تونس بالجزائر ، وواصل سياسة عقد المعاهدات التجارية والسياسية مع الدول الأوربية ، كما واصل سياسة مؤسس الأسرة بالنسبة للناحية العمرانية . ومن أفراد الأسرة حسين باى الذى تولى من 1824 – 1835 الذى واجه التنافس الانجليزى الفرنسى للاستئثار بالنفوذ الأعلى فى تونس ، كما شارك أسطول الباى حسين فى معركة نوارين البحرية ببلاد اليونان ودمر هناك مع الأسطولين التركى والمصرى وذلك استجابة منه لطلب السلطان العثمانى ، كما أنه حفاظاً على كرسى الحكم وعلى تونس وقف موقف الحياد من الغزو الفرنسى للجزائر عام 1830 (13) .

(ورغم ذلك احتلت فرنسا تونس عام 1881 ، فلو أنه وقف موقفاً مشرفاً مع إخوانه المسلمين ضد هؤلاء الغزاة الفرنسيين لكان أفضل له ، وكذلك فعل محمد على حيث وقف نفس الموقف من احتلال فرنسا للجزائر ، ومع ذلك أيضاً تآمرت فرنسا مع إنجلترا التى احتلت مصر عام 1882) .

وفى خلال الفترة حكم تونس الباى أحمد 1837 – 1855 فى وقت تعيش فيه تونس أزمة مالية وقوة عسكرية ضعيفة بعد تحطيم الأسطول التونسى فى نوارين دون تعويض من السلطان العثمانى ، مما أدى إلى استسلام الباى لنفوذ الدول الأوربية الكبرى خاصة إنجلترا وفرنسا ، فظهرت المدارس والكنائس الأجنبية ، ومع ذلك فقد ظل معترفاً بالسيادة العثمانية ، بل ولم يتقاعس عن المشاركة فى حرب القرم فى صف السلطان العثمانى .

جاء بعده الباى محمد الصادق الذى زادت فى عهده الامتيازات الفرنسية فى تونس وكذلك المصالح الإيطالية ، وكانت الدولتان الفرنسية والإيطالية تتنافسان فى الاستيلاء على تونس ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الباى معترفاً بالسيادة العثمانية على تونس ، بل وساهم فى الحرب التركية الروسية بتقديم مساعدات غذائية للقوات التركية المحاربة (14) .

وفى تقرير من حيدر أفندى الموفد من قبل السلطنة العثمانية إلى تونس بأنه أبلغ الوالى الباشا بواسطة الباخرة العثمانية " بك شرف " التى وصلت إلى حلق الوادى أن حضرة السلطان المأمور بخدمة الحرمين الشريفين ، قد أهدى 10,000 كيسه أقجه (عملة البلاد فى ذلك الوقت) لتصرف على صيانة أمن تونس ، وقد أرسل نصف هذا المبلغ على أن يلحقه النصف الآخر عند الطلب .

فى التقرير يشرح حالة تونس المالية بأنها مفلسة ، وأن هذا الإفلاس قد تسبب فى عدم قدرتها على مواجهة مشاكلها من جانب ، ومن جانب آخر ، فإن اقتراب " على بن غذاهم " من الأماكن التى تبعد 7 أو ساعات عن تونس ، واقتراح الفرنسيين إرسال جنود إلى تونس ، سبب اضطراب الشعب والوالى وبلغ ذلك حداً لا يمكن تصوره ، وأن الوالى والشعب التونسى ينتظران الإغاثة من الله ، ثم من وصول الباخرة العثمانية " بك شرف " إلى تونس ، كما تم إرسال ثلاثة أشخاص من الصالحين إلى معسكر العصاة لاستمالتهم لطاعة الباى ، ومنهم على بن غذاهم .

الجدير بالذكر أنه لما علم العصاة بوصول الباخرة بك شرف وبها هذا المدد وقرأت عليهم الرسائل التى تبين ذلك ، أطاع على بن غذاهم وعاد إلى مقره ، ثم أن أكثرية العصاة البالغ عددهم 200 قد التحقوا بالجيش ، وتبين أنه لا مجال لهم للاعتراض الآن ، واتفقت الحكومة مع العصاة على تخفيض 20 قرشاً من الضرائب الشخصية والتى كانت تبلغ 36 قرشاً يدفعها العرب (15).

وفى رسالة أخرى من الباى محمد الصادق تبين أن المساعدة العثمانية أدت إلى عودة الأمن لبعض قرى الساحل وإقبال العصاة على الطاعة وتوجيه الشكر للسيد حيدر أفندى الموفد من قبل السلطنة العثمانية

أما الباى محمود فقد حكم تونس خلال الفترة من 1864 إلى مجئ الاحتلال الفرنسى عام 1881 ، وقد اشتهر عهده بأزمة مالية أدت إلى التدخل الإنجليزى الفرنسى فى شئون تونس الداخلية نتج عنه الاحتلال الفرنسى لتونس ، وهذا هو أسلوب الاستعمار لمعظم الدول العربية التى وقعت تحت الاحتلال ، وأكبر مثال على ذلك اختلاق الأزمة المالية فى مصر فى عهد إسماعيل والتى نتج عنها أيضاً الاحتلال الإنجليزى لمصر عام 1882 .

كان نظام الحكم فى الأسرة الحسينية حكماً وراثياً ولم يكن ليصبح سارى المفعول إلا بعد صدور فرمان من السلطان العثمانى بتعيين الباى الجديد ، ونظراً لموقع تونس وكذلك الجزائر فى مواجهة أوربا كانت الفرامانات السلطانية تسمح للبايات فى تونس والدايات فى الجزائر بعقد المعاهدات التجارية والمالية بما يدعم الاستقلال المالى لهذه الولايات .

كان الباى هو رئيس الدولة ، وبالتالى هو قائد عام القوات المسلحة ، وكان يستعين بوزراء فى تصريف الشئون الداخلية ، وإن كان يقلل من سلطة الوزراء وجود الامتيازات الأجنبية التى أدت إلى خراب البلاد الاقتصادى بسبب تهرب الأجانب من المساهمة فى الاقتصاد التونسى رغم ضخامة ما يملكونه فى تونس من أملاك واسعة ، وبسبب مقاومتهم لكل إصلاح مالى أو دستورى والاحتماء بالقناصل وعدم المثول أمام القضاء الوطنى (17) .

وقد شهدت تونس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نشاطاً ملحوظاً فى الحركة الإصلاحية فى مختلف المجالات مثل :

1- إصلاح الإدارة العامة خاصة خلال الفترة من 1861 – 1862 .

2- إنشاء وزارة متكاملة من الناحية الوظيفية ، بحيث ألغى الازدواج الوظيفى .

3- إخضاع القضاء الشرعى لتنظيم قائم على التوافق بين المذاهب المختلفة .

4- إدخال التحسينات على إدارة الولايات .

5- إنشاء مجلس بلدى لمدينة تونس فى عام 1858 .

6- تغيير النقود وضبط المكاييل وإنشاء مراكز للجمارك لضبط وتحصيل الرسوم الجمركية .

7- تم إنشاء طريق طويل يربط بين تونس العاصمة وحمام الأنف (نحو 12 ميلاً) .

8- تم فى أيام خير الدين إنشاء سجن عمومى للنساء وآخر للرجال على نسق السجون فى أوربا

9- تم ربط البلاد بشبكة من السكك الحديدية [18]

الفصل السادس

تقييم العلاقات العثمانية العربية

على مدار أربعة قرون استولى فيها العثمانيون على معظم البلاد العربية، وتأتي مصرنا الغالية على رأس تلك الدول، سرقوا ثروتها، وقتلوا شعوبها، وتركوها وهى خربة، بعدما أصبحت محتلة من جانب عدو آخر، بسبب ضعفهم وأطماعهم، وتركونا نحن العرب أمام شبح الاحتلال الذى دمر بلادنا بعدما بدد العثمانيين ثرواتها.

الحقيقة أن الجانب التركى لم يخسر كثيرا فى معاركه، العرب هم من خسروا، سقط فقط ديكتاتورية من أكثر الديكتاتوريات دموية فى التاريخ، تركيا أصبحت دولة مستقلة، قام مصطفى كمال أتاتورك بتأسيس جمهوريته، لكن عانينا نحن بسبب فساد حكام العثمانيين علينا، والكوارث التى فعلوها، كما قالر الباحثون من قبل، ومنها:

رصد الجغرافي المصري الرائد/ جمال حمدان في العديد من كتاباته التاريخ الأسود للعثمانيين في البلاد العربية والإسلامية منذ أقدم العصور، ومن أشهر تلك المؤلفات؛ "استراتيجية الاستعمار والتحرير" و"شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان"، و"شخصية مصر وتعدد الأبعاد والجوانب" و"مذكرات في الجغرافيا السياسية."

- أكد جمال حمدان في كتابه "استراتيجية الاستعمار والتحرير" أن الأتراك كانوا وبالاً على الدولة العباسية، وسبب ضعفها وسقوطها في النهاية، يقول: "كانت الموجة الغزنوية التركية أول ما وصل المنطقة العربية من برابرة العالم الإسلامي، في القرن الـ11، وانتزعت فارس وما جاورها، ثم بدأت قوة الأتراك السلاجقة الوافدة من آسيا تتسلل وتظهر في الدولة العباسية، حتى استطاعوا أن يقتطعوا منها أجزاء كثيرة في غرب آسيا، فأقاموا قاعدتهم في كرمان وهمدان ثم في آسيا الصغرى." ويضيف :"انقلب الأتراك السلاجقة على الحكم العربي في بغداد ودمشق، حتى امتد سلطانهم إلى الشام والأراضي المقدسة، لكن قوة السلاجقة لم تلبث أن تضعضعت تحت طرقات المغول في القرن الـ 13 على يد جنكيز خان، وفي الوقت الذي كان العالم الإسلامي يواجه خطر الحروب الصليبية، خرج تيمورلنك من عاصمته سمرقند ليكتسح فارس والعراق وشمال سورية حتى دمشق، ولكنه عجز في التقدم جنوبا بفضل المقاومة المصرية."
- تابع عالمنا الجليل: "الأتراك قوم همج، لم يتحدوا في دولة متحضرة، فهم يحاربون بعضهم من أجل الكلأ والمراعي، وفي مطلع القرن الخامس عشر أظهر الأتراك بربريتهم وغباءهم السياسي، حينما اتجه تيمورلنك إلى الأناضول لمحاربة العثمانيين، وانتصر تيمورلنك على العثمانيين في معركة أنقرة عام 1402، حين انكسرت قوات بايزيد الأول وسقط في الأسر." كما يقول أيضاً:"أن الاستعمار الديني المسيحي لم يكد ينحصر

عن الساحل الجنوبي حتى ورثه استعمار ديني آخر "وإن اختلف الدين"، فلقد جاء الاستعمار التركي استعماراً سياسياً بغطاء ديني". ويمكن القول أن أ.د. جمال حمدان يشير بشكل أو بآخر إلى أن "الدولة العربية انتهت على يد الغزو التركي، وليس الغزو الصليبي، بعدما جاءوا للبلاد العربية في مسوح الدين الإسلامي وتحت قناعه، فهو نوع من الاستعمار الديني، ولولاه لعد مماثلا للغزو المغولي الوثني الذي سبقه."

- كما أشار أ.د. جمال حمدان في موسوعته الأعظم "شخصية مصر؛ دراسة في عبقرية المكان" (لقد كانت المواجهة بين المماليك والعثمانيين لقاء بين حضارة مستقرة عريقة وبين غزاة أشبه بمتبربري الامبراطوريات القديمة).
- استطرد عالم الجغرافيا قائلا :"نوايا الأتراك السيئة تجاه البلاد العربية الإسلامية تأكدت في القرن السادس عشر، حينما اتجهت الدولة العثمانية إلى الشرق العربي، واتجه الزحف التركي إلى مصر رأسا، عن طريق سورية التابعة للدولة المملوكية المصرية، التي أصبحت مفتاح المنطقة العربية، خاصة بعد أن انتقل ثقل الدولة العربية الإسلامية كاملا ونهائيا إلى مصر بعد تدمير العراق على يد المغول." ويضيف: "كانت قوات سليم الأول أضعف من أن تنتصر على المماليك في معركتي مرج دابق والريدانية، لكنهم استخدموا طريقتهم التركية الأصيلة، فعن طريق الرشوة

والخيانة استطاعوا استمالة خاير بك وجان بردي الغزالي، وسقطت مصر في عام 1517 في يد رعاع الاستبس."

- رصد صاحب "شخصية مصر" الطابع الاستعماري للاحتلال التركي الذي نهب ثروات البلاد العربية، لتلبية نفقات السلاطين والحرملك وسهرات الفجر والمجون، بقوله: "كل مظاهر الاستعمار الاستغلالي الابتزازي لا تنقص الدولة العثمانية، فقد كانت تركيا دولة استعمارية تعتصر موارد وخيرات الولايات بلا مواربة، لتحشدها في خزانة السلطان، الذي ينفق منها على نزواته الشاذة."
- فضح المؤلف سياسات الأتراك البربرية في حكم البلاد العربية، صاحبة التاريخ والحضارة العريقة، وطبقوا في حكمهم السياسي طريقتهم الاستبسية في معاملة الحيوان، هم انتقلوا من رعي قطعان الحيوان إلى رعي قطعان البشر، فكما يفصل الراعي بين أنواع القطعان، فصل الأتراك بين الأمم والأجناس المختلفة، عملا بمبدأ فرق تسد، وكما يسوس الراعي قطيعه بالكلاب، كانت الإنكشارية كلاب صيد الدولة العثمانية، وكما يحلب الراعي ماشيته، كانت الإمبراطورية بقرة كبرى عند الأتراك للحلب فقط
- يلقي جمال حمدان الضوء على قضية سياسية مازالت ساخنة ومطروحة حتى يومنا هذا، وتنبأ العالم الشهير بنزعة الكراهية التي تنتهجها تركيا تجاه مصر، حينما تساءل في كتابه "مذكرات في الجغرافيا السياسية" قائلا :"القرن الـ 21 لمن؟، فالعالم الإسلامي يتنازعه أكثر من قوة دولية

متنافسة، مصر وتركيا وإيران، لكن مصر هي الأقدر على زعامة المسلمين، لأنها رأس المسلمين والعرب، بحكم تاريخها العريق، وصدارتها في المنطقة، فهي قدس أقداس السياسة والجغرافيا السياسية، وهو ما سيجلب عليها عداء أنقرة وطهران."

- رد حمدان على ادعاء تركيا للتحضر، ومنافستها لمصر في المنطقة "ليس أكثر من تركيا نقيضا تاريخيا وحضاريا لمصر، فتركيا بلا تاريخ، بلا جذور جغرافية، انتزعت من الاستبس كقوة شيطانية مترحلة، واتخذت لنفسها من الأناضول وطنا بالتبني، وهي بلا حضارة، بل كانت طفيلة حضارية استعارت حتى كتابتها من العرب."
- يقول جمال حمدان في وصف الدولة المشوهة، ومنزوعة التاريخ: " إنها تمثل قمة الضياع الحضاري، في تغيير جلدها أكثر من مرة، الشكل العربي استعارته ثم بدلته باللاتيني، والمظهر الحضاري الآسيوي نبذته، وادعت الوجهة الأوروبية، هي كغراب يقلد مشية الطاووس، وعلى النقيض تماما من مصر، ذات التاريخ العريق والأصالة والحضارة.
- تابع صاحب "مذكرات في الجغرافيا السياسية" أن "مصر ظلت وستظل تمثل للأتراك كل العقد، وليس عقدة وحيدة، فهي الدولة التي يحتسب عمرها بعمر هذا الكون، بينما تركيا بلا تاريخ أو هوية، ويرجع تاريخ العداء التركي لمصر منذ القرن الثالث عشر، وبعد احتلال مصر عام 1517،

اتبعت الدولة العثمانية سياسات قمعية تجاه الشعب، تعويضا لعقدة النقص التي يشعر بها الأتراك تجاه المصريين."

- أوضح مؤلف "عبقرية المكان" أن "جيش مصر العظيم يمثل أبرز العقد للأتراك، فقد أعطى دروسا قوية في الفنون العسكرية للجيش التركي، وسحقه أكثر من مرة في معارك ضروس، والبداية كانت عندما سحق الظاهر بيبرس الأتراك المتحالفين مع المغول في الأناضول، في معركة الأبلستين عام 1277، وتجدد الصدام في عام 1488 عندما قاد السلطان قايتباي جيوشه وهزم السلطان بايزيد الثاني في معركة أضنة."

أصبحت مصر القوة الضاربة في الشرق الأوسط في القرن التاسع عشر، على يد مؤسس الأسرة العلوية، ويضيف: "عندما قرر محمد علي باشا ضم الشام إلى الأراضي المصرية في عام 1831، وزحف الجيش المصري وحاصر عكا، المحصنة بأسوارها العالية، ونجح في كسر جيوش السلطان محمود الثاني، وسيطر على فلسطين ودمشق، ثم التقى بالجيش العثماني من جديد عند أسوار مدينة حمص ولقنه درسا قاسيا، واستولى على حمص، وباقي المدن السورية."

وتابعت مصر ضرباتها المتواصلة للجيش التركي بعدها بـ 8 سنوات، يقول :"ولن ينسى الأتراك ما فعله الجيش المصري بجيوش السلطان محمود الثاني في معركة نصيبين عام 1839، عندما لقن نظيره التركي درسا في فنون الحروب الحديثة، مستخدما قوته المفرطة، حينما أفنى كل الجيش العثماني في تلك المعركة، وأسروا 15 ألف جندي وضابط، واستولوا على كل الأسلحة والمؤن."

ويضيف حمدان: "وعندما بلغ السلطان العثماني أمر الهزيمة المنكرة، وفناء جيشه مات حزنا، ولم يكتفِ الجيش المصري بسحق العثمانيين، وإنما حاصر إسطنبول، واستسلم الأسطول التركي لمصر في الإسكندرية، وأصبحت الدولة العثمانية بلا سلطان أو جيش أو حتى أسطول، ولولا التدخل الأوروبي، لكانت تركيا من بين ممتلكات مصر."

وتحت عنوان "دنيا العالم الإسلامي" هاجم جمال حمدان جماعة الإخوان المسلمين الذين وصفهم بأنهم "عبئا على الإسلام والمسلمين"، واتهم الأحزاب الدينية بأنها "عصابات طائفية، مافيا الإسلام، المطاريد، دراويش القرن الـ20"، واشترط لتقدم مصر والعرب والعالم الإسلامي "شنق آخر الجماعات الإسلامية بأمعاء آخر إسرائيلي في فلسطين."

لم يكن جمال حمدان يدري أن تركيا ستتخذ من جماعة الإخوان المسلمين أداة لمحاربة البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط، خصوصا بعد وصول حزب العدالة والتنمية المعروف بميوله للجماعة الإرهابية، واستخدمها إردوغان لاحتلال البلاد العربية في القرن الحادي والعشرين، في محاولة منه لتكرار تجربة سليم الأول، حين خدع العرب والمسلمين واحتل أرضهم تحت ستار راية الدين الإسلامي.

الثورة العربية الكبرى 1916م

قامت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) بين المركزية والحلفاء. وتوفوق الحلفاء فى عام 1914 على الدول المركزية (ألمانيا والنمسا والمجر) فى القوة العسكرية ، فقد كان لديهم 30 مليون محارب ، فى مقابل 22 مليون للدول المركزية ، وكان للبحرية البريطانية السيطرة على البحار. وضعت ألمانيا خطة الحرب منذ سنوات ، فهى بالتالى مستعدة لخوض غمار هذه الحرب ، فعندما أعلنت الحرب على فرنسا ، دخلت خطة الكونت فوت شليفين Schlieffen الحربية ، وهى التى وضعها فى عام 1905 وأقرت رسمياً فى عام 1912 فى دور التنفيذ ، وتقوم على الهجوم على فرنسا أولاً عن طريق اختراق حياد بلجيكا ولكسمبورج واحتلال باريس ، ثم التحول إلى روسيا للهجوم عليها ، وهذا يعنى ترك بروسيا الشرقية معرضة لضربة من جانب روسيا الرابضة فى الشرق ، ولكن هذا الأمل كان معقوداً على صمود النمسا والمجر أمام روسيا لمدة ستة أسابيع ، تكون باريس فيها قد سقطت ويمكن بعدها إرسال الإمدادات إلى الجبهة الشرقية ، على أن روسيا انتهزت فرصة انشغال القوات الألمانية فى فرنسا ، لإنقاذ جيشين كبيرين لتطويق القوات الألمانية فى بروسيا الشرقية ، الأمر الذى اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثى قواتها من الجبهة الغربية لمواجهة هذا الخطر

ولما كانت الخطة الألمانية مدبرة من سنوات عدة ، فهى من ثم خطة عتيقة يمكن إحباطها لو أنها قوبلت باستعمال الخنادق والأسلاك الشائكة والمدافع الرشاشة استعمالاً صحيحاً ، ولكن الفرنسيين لم يكونوا متقدمين فى فنهم العسكرى تقدم الألمان ، فركنوا إلى أساليب الحرب المكشوفة التى كانت متأخرة ، ولم يكن لديهم عتاد مناسب لا من الأسلاك الشائكة ولا من المدافع الرشاشة.

وكان الدفاع عن الحدود البلجيكية موكولاً بحصون " لييج Liege " وهى حصون قديمة الطراز عشر سنوات أو اثنى عشرة سنة ، وفيها استحكامات زودها بالأسلحة وركبها فى كثير من الحالات مقاولون من الألمان ، وكان العتاد فى الحدود الفرنسية الشمالية الشرقية رديئاً جداً ، وطبيعى أن شركة الأسلحة الألمانية المسماة كروب أعدت لهذه الحصون الهزيلة معاول تتمثل فى مدافع ذات ضخامة استثنائية تقذف بقنابل شديدة التفجر ، وأثبتت هذه الحصون أنها ليست إلا مجرد مصايد لحماية المدافعين ' وكان لدولتى الوسط ، والنمسا والمجر ، ما يقرب من مائة وعشرين مليوناً من السكان ، فى الوقت الذى كان فيه لخصومهم – روسيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والصرب – ما يقرب من مائتين وثمانية وثلاثين مليوناً دون حساب شعوب المستعمرات ، ، وهذا الفارق العددى ، والذى لم تكن له قيمة كبيرة فى حرب قصيرة الأمد ، ازدادت أهميته فى إمكانية استمرار الحرب لمدة طويلة ، الأمر الذى يجعل من الاحتفاظ بقوات عسكرية مُشكلة رئيسية 0

بريطانيا فقد جاهدت قدر الاستطاعة فى سبيل حفظ السلام فى بداية الحرب ، فعلى حد قول " فشر " أنه لا يمكن أن توجه إليها تهمة السعى إلى إشهار الحرب ، فإنه كان أمراً لا مفر منه ، فعند إقحام فرنسا فى الحرب نجد أن الشعب البريطانى نفسه كان لا يريد الحرب حتى أنه لولا غزو ألمانيا لبلجيكا لحل بصفوف الوزارة والبرلمان والأمة الانشقاق وتفرق الكلمة.

وبذلك فإن بريطانيا رأت ضرورة تأمين مركزها فى شمال الخليج العربى وجنوب فارس ، ولكى يتحقق ذلك ينبغى لها أن تسيطر على البصرة فى مطلع الحرب ، ففى نهاية شهر سبتمبر 1914 وافقت حكومة " مستر اسكويث Mr. Asquith " على إرسال حملة من الهند البريطانية إلى الخليج العربى وذلك استناداً إلى المذكرة التى قدمها آنذاك " سير آرثر هرتزل Sir A. Hirtzel " من قسم الشئون السياسية " بوزارة الهند India Office " فى اليوم الثانى من سبتمبر 1914 ، والتى أكد فيها أن الدولة العثمانية ستنضم إلى دول الوسط وأن المسألة لآ تعدو أن تكون مسألة وقت قبل أن تعلن الدولة العثمانية موقفها ، وركز هرتزل على أنه من الخطورة ترك شمال الخليج العربى دون إحكام السيطرة البريطانية عليه لما قد يؤدى إليه ذلك من نجاح الدولة العثمانية 0

الجدير بالذكر أن حكومة الهند البريطانية فى بداية الحرب بذلت جهوداً كبيرة من أجل مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية ، ومنها وضع مخطط

استراتيجى للدفاع عن العراق بعد أن يتم نجاح البريطانيين فى ضمه إلى ممتلكاتهم .

أما الدولة العثمانية فقد دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا ، بعد تورطها فى حرب الموانى الروسية على البحر الأسود فى 29 أكتوبر 1914 ، فأعلنت روسيا الحرب عليها ، وانضمت كل من فرنسا وبريطانيا إلى جانب روسيا وأعلنتا الحرب على الدولة العثمانية فى 5 نوفمبر ، مما جعل الدولة العثمانية بدورها تعلن الحرب على الدولتين فى 11 من نفس الشهر ، وبالتالى أعلنت بريطانيا زوال السيادة العثمانية وقيام الحماية البريطانية على مصر ، وبذلك أصبح إشرافها تاماً على القناة ، وبذلك صار الصراع علنياً وشمل القتال كل قارات العالم خاصة بعد أن دخلت ميدان الصراع كل من اليابان والتى لم يكن التحالف البريطانى اليابانى يلزمها بدخول الحرب ولكنها رأت فى دخول الحرب فرصة سانحة لها لاحتلال مستعمرات ألمانيا فى الصين ، والمحيط الهادى فتشفى بذلك غليلها من كثرة الإهانات التى ألحقت بها من الجانب الألمانى ثم دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فيما بعد – وكان تدخلها فى 6 أبريل 1917 أمراً حاسماً إذ جاء بمثابة تعويض عن قرب تخلى روسيا عن الحلفاء.

وكانت تركيا هى الدولة الأولى من بين هذه الدول التى دخلت فى الحرب ، و فى 2 أغسطس 1914 كانت حكومة تركيا الفتاة برئاسة أنور باشا ، قد عقدت مع ألمانيا معاهدة تحالف سرية ضد روسيا ، وفى 11 أغسطس كانت قد سمحت

للطرادين الألمانيين (جوين وبرسولا) اللذين تعقبهما الأسطول البريطانى بعبور الدردنيل الذى ظل مغلقاً فى وجه السفن الإنجليزية ، وكانت قد أقفلت المضايق فى 26 سبتمبر فى وجه السفن الإنجليزية ، وفى وجه الملاحة التجارية ، أى أنها كانت قد منعت وصول المهمات الحربية التى كانت الجيوش ال روسية تنتظرها بقلق ، وقد أجلت دخولها الحرب واستمرت نحو ثلاثة أشهر مترددة ، ولا شك فى أن تركيا كانت تخشى كل شئ فى حالة انتصار روسيا : فبريطانيا رغم أنها كانت فى الماضى ، وقد حمت هذه الإمبراطورية العثمانية ضد الأطماع الروسية ، إلا أنها وجدت نفسها مضطرة لأن تترك روسيا تعمل حتى لا يتفكك التكتل ، ، وعلى العكس من ذلك لم تكن المصالح العثمانية تخشى أى شئ من انتصار ألمانيا ، والتى كانت ببنائها لسكة حديد بغداد ، قد أسهمت فى تدعيم الإمبراطورية ، والتى كانت تظهر أمام العالم أجمع على أنها تحمى الإسلام، بل أن البريطانيين كان عليهم أن يلتزموا بالسيطرة والدفاع عن الخط الحديدى المتجه إلى بغداد وذلك فيما بين ميناء الإسكندرونة والموصل.

وقد كان أحرى بالسلطان أن يواصل سياسة الحياد ، ولكن نفوذ أنور باشا وزير الحربية ، وظهور الطرادين الألمانيين فى مياه البسفور ، والإكراميات الألمانية التى نثرت فى عديد من الدوائر التركية ، والمضايقة التى سببتها بريطانيا لتركيا بحجزها فى أحواضها البحرية بارجتين كان صنعهما قد اكتمل ، كل هذه الأمور دفعت تركيا أن ضربت الثغر الروسى العظيم " أوديسا " فى 28 أكتوبر

1914 بواسطة طرادان ألمانيان كان قد بيعا صورياً لتركيا ، وبهذا ورطت تركيا ودخلت الحرب فى جانب ألمانيا والنمسا فى اليوم التالى ، وكانت عواقب دخولها الحرب غاية فى الخطورة ، فإن روسيا التى كانت تملك قوات من الرجال لا حصر لها ، نقصتها المعدات الميكانيكية لمواصلة حرب حديثة ، فما حل خريف سنة 1914 ، حتى كانت قد استنفذت إحتياطيها من الذخائر ، إذ لم يكن فى مقدورها أن تسد سوى ثلث مطلوبها اليومى من الذخائر مما تنتجه مصانعها [15] 0

بدأت الحرب على نحو مأساوى بالنسبة للأتراك لأن أنور باشا لم يأخذ بنصيحة الألمان وأخذ على شن هجوم ضد روسيا فى منطقة القوقاز على أمل أن يثير التمرد بين مسلمى أواسط آسيا مما يساعد على تحقيق آماله بشأن الطورانية الشاملة Pan – Turan وتمكن الروس من استعادة توازنهم عقب الهجوم الأول ، ثم عانت القوات التركية من البرد ، وعلاوة على ذلك كان الأتراك فى جميع أرجاء الأناضول الشرقية يتعرضون للتهديدات بسبب العصيان المسلح الذى كان يمارسه الرعايا الأرمن الذين راحوا يدمرون وسائل المواصلات والاتصالات ويشكلون فرق تطوع من أجل مساعدة الروس ، فاضطر الأتراك إلى إصدار الأوامر بترحيل جميع السكان الأرمن من الأناضول الشرقية إلى الأماكن الشمالية من سوريا ، وتم قتل مئات الآلاف من الأرمن ومات الكثيرون منهم بسبب الجوع وسوء الأحوال الجوية والأمراض [16] ، وهذا ما يطالب به الغرب بصفة عامة تركيا

فى الوقت الحاضر بالاعتراف بمذبحة الأرمن حتى يمكن إدانتها فى مجلس الأمن وعلى مستوى العالم ، الأمر الذى رفضته تركيا رفضاً باتاً 0

وقد تسبب دخول تركيا الحرب جانب ألمانيا ودول الوسط فى مساندة إنجلترا وفرنسا أعمال المقاومة ضدها فى البلقان ، وكان الثمن الذى دفعته تركيا هو التخلى عن المنطقة [17] ، كما تسبب دخول تركيا الحرب ضد روسيا أن أنفذ الحلفاء أسطول بريطانى لاقتحام الدردنيل ، وجيشاً إلى شبه جزيرة غاليبولى Gallipoli خط الدفاع الاستراتيجى عن القسطنطينية وضم هذا الجيش نحو 3000 رجل مصرى حققوا نجاحاً عظيماً للقوات الإنجليزية ، وفى تقرير من وينجت Wingate إلى بلفور Balfour يبين أنه عندما زاد الطلب على أهل الريف خلف خطوط القتال فى غاليبولى وفرنسا وسيناء والعراق وفلسطين نظراً لقدرتهم على تحمل الأعباء اليدوية الشاقة ، أنه خلال الفترة من سبتمبر 1915 إلى آخر مارس 1916 تم جمع نحو 19537 عاملاً (زاد العدد ليصبح 72548 فى 31 مارس 1917 ثم زاد إلى 97578 فى 31 مارس 1918 وزاد مرة أخرى فى 30 يونيو ليبلغ نحو 106850 عاملاً [18] ، وهناك تقرير آخر يوضح أن ما تم جمعه من عمال التراحيل كان نحو 14600 عاملاً شهرياً [19] ، فى حين أن أحمد شفيق فى حولياته قدرها نحو نيفاً ومليون فرد [20] ، كما أعلن السير موراى عن حاجته إلى 12000 فلاح مصرى شهرياً لفيلق العمال و 5000 فلاح شهرياً لفيلق النقل بالجمال وأوضح أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق التجنيد

الإجبارى [21] ، أيضاً طلب اللواء هربرت أعداداً أخرى من الريف للعمل فى فرقة التشهيلات المساعدة.

ناهيك عن استخدام القوات البريطانية كثير من المجالات المصرية مثل الأفراد والدواب ووسائل النقل وعلف الدواب رغم أنف المصريين للخدمة فى كثير من ميادين القتال وكان لهؤلاء دور كبير فى انتصار الحلفاء ، ليس هذا فحسب ، فقد قدمت مصر مدرسة البوليس لاستعمالها مستشفى حربية ، هذا جانب المستشفيات المصرية ودور جمعية الهلال الأحمر المصرى فى الحرب، لصالح الجرحى الإنجليز وحلفائهم ، كما تم استخدام قناة السويس لصالح الحلفاء، أيضاً قامت السلطة العسكرية البريطانية بتقييد الحرية التجارية المصرية مع دول العالم ، وأن القوات البحرية والحربية البريطانية يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية ، وكل ما يجرى الاستحواذ عليه فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية من سفن حربية أو تجارية أو بضائع يجوز إحالته على إحدى محاكم الغنائم البريطانية، وكان الغرض من اقتحام المضايق إنشاء ممر بين البحر المتوسط والبحر الأسود مع الاستيلاء على العاصمة التركية ، لإنقاذ روسيا من عزلتها ، وتمكين الدول الغربية من الاتصال بها حتى يمكن تطويق ألمانيا فى كل مكان ، وعزل تركيا عن حلفائها ، فعندما دخلت تركيا الحرب واعتدى الأسطولان الإنجليزى والفرنسى على مضيق الدردنيل رغم تحصينه ومضيق البسفور ، فقد كانت هناك آراء بأنه يمكن منع الأسطول من الاقتراب من

المضايق ، أوعلى الأقل منعه من الإنزال البرى ، مع التخوف من حدوث إنزال برى فى حالة وجود أسطول قوى ، وخاصة إذا تمكن العدو من اكتساب موقع على الساحل.

ولكن هذه الحملة (حملة الحلفاء) لم تنجح ، فقد انهزم الأسطول الإنجليزى هناك فى 18 مارس 1915 ، وفشلت الحملة البرية فى اقتحام غاليبولى واضطرت إلى الانسحاب النهائى (18 ديسمبر 1916 – 1917) وعجزت روسيا عن مد يد المساعدة لحلفائها كما كانوا يتوقعون ، لذا عمد الحلفاء إلى مهاجمة تركيا فى إمبراطوريتها فى الشرق الأوسط فقد استولوا على الجزء الأكبر من العراق ودخلوا بغداد ، واستولوا فى فلسطين على يافا وبيت المقدس بمساعدة الآلاف من العمال المصريين الذين قامت بجمعهم السلطات البريطانية فى مصر حيث قاموا بتعبيد الطرق إلى فلسطين ، ثم استخدمتهم فى العراق وفرنسا، كما تصدت القوات المصرية للأتراك وطردهم من سيناء ، بل كان للقوات المصرية دور كبير فى فشل الحملة التركية على قناة السويس فى فبراير 1915 من خلال فرقة العمال وفرقة الجمالة المصرية – ومساعدة القوات الإنجليزية فى تمهيد الطرق وعبور سيناء إلى فلسطين.

وفى اليمن حيث الحكم العثمانى سارعت بريطانيا بالاتفاق مع الأدريسى فى أبريل 1915 ، وتوجه أسطولها لمساندة تحركات الأدارسة ضد الأتراك فى المنطقة الساحلية حتى تضمن عدم التعرض لطريقها البحرى إلى الهند ، ولمحطة

الفحم الهامة فى عدن ، وللقاعدة البريطانية الحربية هناك ، وعدم سيطرة الأتراك على جزر مدخل البحر الأحمر مثل جزيرة بريم ، وتجدر الإشارة إلى أن القوات العثمانية النظامية التى هاجمت لحج قدرت بنحو ألفين وثلاثمائة جندى معظمهم من الترك والسوريين مقسمة إلى ثلاثة آلايات ، ولما كان العرب هناك يدينون لبريطانيا ويجب عليهم تقديم المساعدات للإنجليز ، فقد ضايق الأدريسى فى عسير انتصار الترك فى لحج لأنه كان يخشى أن يؤدى ذلك إلى انتصارهم ورفع معنوياتهم فى الجبهة الشمالية فى اليمن حيث يقوم بدوره فى محاربتهم لصالح الإنجليز 0

حاول الأتراك أن يجذبوا الشريف حسين إلى جانبهم عن طريق التأكيد بأن الأمانى التركية العربية غير متعارضة ، ولكن كان هذا قبل حملة جمال باشا على قناة السويس ، وبعد فشل هذه الحملة تحرك الأتراك إلى نوع من التهور إزاء العرب وشنقوا عدداً من زعمائهم فى عام 1915 رغم المجهودات التى بذلها الشريف حسين لتخفيف حكم الإعدام ، وانتهز الإنجليز الفرصة ليعلنوا أنهم يقاتلون الأتراك من أجل تحرير العرب.

تعاقدت بريطانيا مع العرب من خلال مراسلات : الحسين مكماهون ، (بين الشريف حسين وسير هنرى مكماهون) والتى بدأت 14 يوليو 1915 وحتى 10 مارس 1916 فقد شجعت قيام الثورة العربية ضد الأتراك وغذتها ومولتها كى تساعد الحلفاء على كسب الحرب ، فقد كانت الفكرة المسيطرة على الحلفاء " لا

شئ يهم سوى أن نكسب الحرب " ، وذلك بعد أن وعدت الشريف حسين باستقلال البلاد العربية والاتفاق على الحدود التى تشملها ، فمن ضمن ما ذكره مكماهون للشريف حسين " أن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى إبرام أى صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك " وقد وافق الشريف حسين على ذلك وأعلن الحرب على تركيا ، بل وقام بإلقاء المنشورات المحرضة للضباط والجنود العرب العاملين فى الجيش التركى فى فلسطين عام 1915 لقتال القوات التركية بدلاً من قتال العرب والحلفاء ، وفى نوفمبر 1916 زار عدن مبعوث مكى وطالبوا بريطانيا بالدفاع عن لحج ضد عدوان الترك وحتى يجذب تأييد العرب لمواجهة مزاعم الدعاية التركية الألمانية ، كما أن الشريف حسين كان يخشى أن يؤدى فقدان الثقة فى بريطانيا إلى عدم تأييد العرب لثورته ضد الدولة العثمانية ، ولم يعلم الشريف حسين والعرب أنها خدعة حتى وقعوا فى شرك الاستعمار البريطانى الفرنسى .

الجدير بالذكر أنه فى نفس العام 1915 وقعت إتفاقية سرية فى لندن بين إنجلترا وفرنسا وروسيا ، تعترف فيها بأن تكون منطقة المضايق وما يحيط ها من أراض من نصيب روسيا بعد نهاية الحرب ، وذلك ترغيباً لها على مواصلة القتال إلى جانب الحلفاء ، كما عقد الحلفاء معاهدة سرية ثانية فى مايو 1916، وهى التى عرفت باسم معاهدة سايكس – بيكو ، وهى الاتفاقية التى أخذت شهرتها من

اسمى الرجلين اللذين انتدبا للتفاوض على بنودها وهما السير مارك سايكس Sir Mark Sykes عن بريطانيا ، والمسيو جورج بيكو M. George Picot عن فرنسا ، وكانت هذه الاتفاقية عبارة عن مذكرات تبادلتها دول الوفاق الثلاثى – بريطانيا وفرنسا وروسيا – بخصوص نصيب كل منها فى أملاك الدولة العثمانية إذا ما انتهت الحرب لصالحهم ، وقد جرت المباحثات المبدئية الخاصة انجلترا وفرنسا فى لندن فى ربيع 1916 بين كل من سير إدوارد جراى Sir Edward Grey وزير الخارجية البريطانية والمسيو بول كامبون M. Paul Cambon السفير الفرنسى فى لندن ، ثم استكملت المباحثات فى القاهرة بين جورج بيكو ومارك سايكس واشترك فيها قنصل روسيا الذى طلب السفر إلى بطرسبرج لعرض المشروع على الحكومة الروسية ، وقد نصت المعاهدة على أن تكون حصة روسيا من أملاك الدولة العثمانية " القسطنطينية وجزءاً من الأرض على ضفتى البسفور وقسماً كبيراً من أراضى شرق الأناضول يكون الولايات الأربع للحدود الروسية العثمانية " ، ونصيب فرنسا جانب كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل فى العراق ، وأما إنجلترا فلها البلاد الواقعة بين الخليج العربى والمنطقة الفرنسية ثم حيفا وعكا ، وتوضع فلسطين تحت إشراف دولى

كشف النقاب لأول مرة عن هذه المعاهدة السرية عندما عثر عليها فى ملفات وزارة الخارجية الروسية بعد ثورة أكتوبر 1917 ، وقد أصدر وزير الخارجية أمراً بنشرها ، فتم نشر المعاهدات المتعلقة منها باستانبول وآسيا الصغرى ، وقد أجاب

بلفور وزير الخارجية البريطانى على الأسئلة التى وجهها إليه مجلس العموم البريطانى ، حيث قال : " ما كان ينبغى نشر هذه الوثائق التى نحن بصددها ، هذا وإنى لا أنوى إعادة نشرها " ، ثم أضاف " لا شك فى أن عدداً من هذه الوثائق ليس له أية علاقة هذه البلاد ، إنما يتعلق بشئون حكومات حلفائنا ".

الجدير بالذكر أن جمال باشا قائد القوات العثمانية فى الشام أرسل نص الاتفاقية السرية (سايكس – بيكو) فى كتابين سلم أحدهما إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين والآخر إلى جعفر باشا العسكرى مقترحاً عقد صلح منفرد مع العرب ، فأرسلهما الشريف حسين إلى المفوض السامى البريطانى فى القاهرة ، فكان الرد (أن هدف الأتراك بذر بذور الشك والريبة بين الحلفاء وبين العرب الذين يكافحون تحت لوائكم والمكافحين ضد المظالم العثمانية ، وأن الحكومة البريطانية تؤكد تمسكها بتعهدها المتعلق بتحرير الشعوب العربية) يلاحظ أن بريطانيا مازالت تسوف لتكسب العرب إلى جانبها رغم غدرها بهم من خلال المعاهدة السرية المذكورة.

وفى مصر قام فون كريستشاتاين بشن هجومه الأخير على قناة السويس فى صيف 1916 ، ولكنه تعرض للهزيمة ، وأصبحت القوات البريطانية التى صارت تحت قيادة الجنرال موراى فى وضع يسمح لها بطرد الأتراك من سيناء ، وبحلول ديسمبر 1916 وصلت إلى العريش ومنها إلى غزة .

ولكن بخروج روسيا من الحرب العالمية الأولى فى عام 1917 استبعدت من الاتفاقية ، وأعلن القائمون على الثورة البلشفية فى روسيا أن العهد الجديد قد نفض يده من كل المعاهدات العدوانية التى عقدتها روسيا القيصرية مع غيرها من الدول الأجنبية ، وأن هذا العهد يريد إقامة علاقات تعاون مع الشعوب واستنكار اغتصاب الدول الكبرى لأراضى الدول الصغرى وبالتالى تنازلت روسيا عن نصيبها فى ممتلكات الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة لندن السرية فى عام 1915 ، وانفردت إنجلترا وفرنسا بالتقسيم .

وفى بداية عام 1917 ، توقف التقدم الألمانى ضد الحلفاء ، وكانت الحروب مشتعلة على كل الجبهات ، وكان العثمانيون يحاربون فى تسع جبهات وهم فى حالة يرثى لها من قلة الزاد والعتاد ، فى الوقت الذى كان فيه حلفاء الدولة العثمانية لا يقدمون ما وعدوا به ، ذهب وفد عثمانى للقاء السلطان السابق (عبدالحميد) وطلب منه النصيحة بما يجب عمله ، فكان رد السلطان : " إن القضايا التى تحدثتم فيها تعتبر أموراً طبيعية لطريق منفرد تم السير فيه ، لقد تعقبتم – من بعدى – سياسة مختلفة تماماً عن سياستى ، جعلتم مشكلة البوسنة والهرسك تخرج من إطارها الذى رسمته أنا لها وهو أنها مشكلة نمساوية – روسية ، فجعلتموها مشكلة عثمانية – روسية ، وأخرجتم مشكلة كريت من كونها مشكلة إنجليزية – روسية ، وجعلتموها مشكلة عثمانية – يونانية ، ووقعتم فى خطر كبير عندما أزلتم بأنفسكم الخلاف بين الكنيستين اليونانية والبلغارية ، وبذلك أوجدتم

الفرصة أمام تحالف البلقان ، وجعلتم الباب مفتوحاً لكى تقوم كل من الصرب والجبل الأسود وإيطاليا بإثارة الألبان الذين حافظوا على علاقاتهم بالدولة العثمانية ببعض الامتيازات الخاصة ، وجعلتم حق القرار فى مجلس " المبعوثان " مسرحاً لنتائج خطيرة من شأنها تقديم الإمكانات الحيوية لاتحاد غير المسلمين ، وبكل هذه الأخطاء خرج محور التوازن السياسى الذى تستند إليه الدولة عن مجراه ، ولو لم تحدث حرب البلقان لما حدثت الحرب العالمية الأولى " ، وقال : " إن المنتصر فى هذه الحرب هو الجانب الذى يملك القدرة البحرية الحربية ، والمصادر الطبيعية لدى الألمان محدودة ، وحدودنا طويلة ولذلك نجد مشقات كثيرة فى الدفاع عنها ، ذلك لأننا نستورد السلاح واحتياجاته ، وإننا الآن مجبرون على أن نتلقى هذه النتائج التى ظهرت بالفعل ولا بد من التسليم باضطرارنا لهذا ، ثم ما معنى استشارتكم لى بعد أن تكدست النتائج التى أسفرت عنها الأحداث السابقة.

الجدير بالذكر أن الضباط العرب العاملين فى الجيش العثمانى انضموا إلى قوات الثورة العربية ، وذلك لأن جمال باشا قام بسبب إخفاقه فى حملته على مصر بأن ألقى القبض على عدد كبير من الناس وقدمهم إلى محكمة عسكرية فى عالية بجبل لبنان وحكم على 13 منهم بالإعدام فى أغسطس 1915 ببيروت ، وفى 5 أبريل 1916 قام جمال باشا بأعدام 21 شخصية منهم سبعة فى دمشق و14 فى بيروت من بينم عبدالحميد الزهراوى عضو مجلس الأعيان الذى ترأس المؤتمر العربى فى باريس ، مما عجل بصيحة العرب للثورة العربية ضد

العثمانيين ، وقد وصلت الضباط العرب المنضمين للثورة بعض المعدات من الحلفاء بعد أن أدركوا أهمية الثورة لهم ، حيث قيدت هجوم الجيوش العثمانية على قناة السويس، كما حالت دون نجاح الحملة العثمانية الألمانية إلى جنوب الجزيرة ، وواصلت الجيوش العربية تقدمها حتى وصلت إلى العقبة فى يوليه 1917 .

إلا أن الثورة العربية خابت فى تحقيق أهدافها بإقامة الدولة العربية المستقلة ، وذلك بسبب تآمر بريطانيا وفرنسا عليها بعملية التقسيم السرية سالفة الذكر وفى نفس الوقت حدثت نكبة الدولة العثمانية فى حرب البلقان أمام الدول الأربع (اليونان وبلغاريا والجبل الأسود والصرب) ، وعلى حد قول السلطان السابق عبدالحميد : " أن الذى هزمنا ليس الدول الأربع ، وإنما تدخل الجيش فى السياسة " ، وقال : " أن سقوط سالونيك يعنى سقوط إستانبول ، وهذا يعنى ضياع الدولة العثمانية ".

ناهيك عن وصول نبأ هدنة مودروس 30 أكتوبر 1918 ، حيث رفع قومندان باب المندب هذا النبأ الوارد من حاكم جزيرة ميون البريطانى فى حينه إلى سعيد باشا قومندان لحج ليتخذ الإجراءات اللازمة تبعاً لما يراه ، ونتج عن ذلك انسحاب الدولة العثمانية من اليمن نهائياً فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبالتالى خرجت الإمبراطورية العثمانية من الحرب إثر هدنة مودروس ، ولم يكن فى مقدور طلعت وأنور ، اللذان عقدا هذه المعاهدة ، أن يقوما بمفاوضات الصلح

، لأنهما كانا فى أعين الأعداء المسئولين الرئيسيين عن دخول تركيا الحرب ، أما فريد باشا الذى قبض على أزمة الحكم فى 4 مارس 1919 بيد أن ثقته بمبدأ ويلسون الذى نص على أن تتمتع الأجزاء التركية من الإمبراطورية العثمانية بالسيادة الكاملة ما لبثت أن منيت بخيبة أمل فاضحة ، وفى 15 مايو 1919 احتل اليونان أزمير بالاتفاق مع الحلفاء. إلا أنه وعلى الرغم من تخوف ألمانيا من خزلان إيطاليا لها ، ففى مايو 1915 دخلت إيطاليا الحرب ضد النمسا ، بعد أن كانت قد أعلنت حيادها عند نشوب الحرب ، فقد أغراها الحلفاء على الانضمام إليهم لتخفيف الضغط عن روسيا بالاشتباك مع النمسا ، وعقدت معاهدة معها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا (معاهدة لندن) التى تقضى بإعطاء إيطاليا منطقة الترنتينو Trentino والتيرول الجنوبى حتى ممر برنر Prenner وتريستا Trieste وشبه جزيرة استريا Istria وشمال دلماشيا ، وميناء فالونا Valona فى ألبانيا وجزر الدوديكانيز Dodecanese فى بحر إيجه Aegean Sea ، كما سمح لها بتوسيع ممتلكاتها فى أريتريا والصومال ولكن إيطاليا واجهت بعد هجومها على النمسا حملة مشتركة من الدول المركزية بقيادة القائد الألمانى "بيلوف Below " وهزمت إيطاليا هزيمة شنعاء فى كاربوريتو Carporetto فى 24 أكتوبر 1917

وكان الدور الثانى من أدوار الحرب حملة مدبرة تدبيراً أقل إحكاماً ترمى إلى تطويق ميسرة جيوش الحلفاء والاستيلاء على ثغور القنال الإنجليزى إلى الساحل

فيما يشبه السابق ، ثم انطلق الألمان بما لهم من تفوق عظيم فى المدافع والعتاد محاولين إنزال ضربة قوية بالإنجليز بالقرب من " إيبر Ipres " ومنع المدد الآتى من إنجلترا إلى فرنسا ومن ثم امتد كل من الجيشين غرباً وكادوا أن يحدثوا ثغرة فى صفوفهم لولا أن صمد لهم الإنجليز.

وشن الألمان على الفرنسيين هجوماً هائلاً دام طيلة النصف الأول من عام 1916 حول فردان ، ولكن الألمان أصيبوا بخسائر فادحة ثم صدتهم القوات الفرنسية بعد أن تقدموا فى الخطوط الفرنسية بضعة أميال ، وتعادلت الخسائر الفرنسية خسائر الألمان ، وكان المشاة الفرنسيون يرددون قولهم " لن يمروا " وبعد أن فشل الألمان فى اختراق جبهة الحلفاء الغربية ، وبعد هجوم فاشل قام به الحلفاء دون الاستعداد له بما يلزمه من عتاد ومواد ، عاود الألمان التفاتهم إلى روسيا ، وأصابوا الروس بسلسلة من الضربات الفادحة استحدثوا فيها طريقة جديدة من الحشد الشديد للمدفعية ، فهزموهم فى جنوب الجبهة الروسية أولاً ثم فى شمالها

الفصل الثامن

جامعة الدول العربية

سعت بريطانيا الى احتواء المد القومي لما يحقق مصالحها في المنطقة فاتجهت الى مصر لاقناعها بانشاء مشروع اتحادي يجمع الحكومات العربية المستقلة(العراق- السعودية- اليمن-الاردن- لبنان- سوريا)، فالتقى النحاس بوفود تلك الدول في نهاية عام 1944 لعرض الموضوع فظهرت ثلاث اتجاهات رئيسية، دعى الاتجاه الاول الى مشروع سوريا الكبرى بزعامة عبدالله بين الحسين ملك الاردن يدعمه نوري السعيد رئيس وزراء العراق، والاتجاه الثاني دعى الى تطبيق مشروع الهلال الخصيب بزعامة العراق، اما الاتجاه الثالث فكان يدعو الى وحدة او اتحاد اشمل واكبر ليضم مصر والسعودية واليمن فضلا عن اقطار الهلال الخصيب لكنهم اختلفوا فيما بينهم حول شكل الاتحاد(فدرالي) ام (كونفدرالي). ومنذ عام 1943 قامت مصر بإجراء مشاورات رسمية مع العراق وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان واليمن وهى الدول العربية المستقلة حتى ذلك الوقت ، كانت هذه المشاورات بقصد البحث فى أمر إقامة اتحاد فيما بين هذه الدول ، وانتهت المشورات بتوقيع بروتوكول الاسكندرية فى 7 أكتوبر 1944 ، وفى 22 مارس 1945 تم التوقيع على ميثاق الجامعة العربية وصدقت

عليه الدول العربية السبع التى اشتركت فى المشاورات. ومن شروط العضوية فى جامعة الدول العربية : (شرط الاستقلال وشرط العروبة) بمعنى أن تكون دولة عربية وأن تكون دولة مستقلة ، وأن يوافق مجلس الجامعة على قبولها ، وعلى مجلس الجامعة ألا يحرم دولة عربية مستقلة من الانضمام للجامعة. ولقد تم قبول ست دول جديدة فى الجامعة العربية وهى ليبيا عام 1953 والسودان عام 1956 والمغرب وتونس عام 1958 والكويت عام 1961 والجزائر 1962 ، وحتى هذا التاريخ (1962) أصبح عدد الأعضاء فى الجامعة 12 دولة 0

أما أهداف الجامعة العربية فهى كالتالى :1 – صيانة استقلال الدول الأعضاء.2 – المحافظة على السلام والأمن العربى. 3 – تحقيق التعاون العربى فى الشئون السياسية وغير السياسية. 4 – النظر فى مصالح المجتمع العربى بصفة عامة.

فروع الجامعة العربية – فروع أصلية وهى : مجلس الجامعة ويعتبر الفرع الأساسى للجامعة وهو المشرف الأعلى على شئونها ويتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة ، وينعقد المجلس فى دورات عادية مرتين فى كل عام مارس وسبتمبر ، كما يعقد دورة غير عادية بناء على طلب دولتين من الأعضاء ، والمقر الدائم لانعقاد المجلس بالقاهرة ويكون فى غير القاهرة إذا حضره ممثلون

لأغلبية الدول الأعضاء ، ويحضر الأمين العام أو من ينيبه من مساعديه جلسات المجلس ، ويقوم المجلس بصفة عامة بالإشراف على تحقيق أهداف الجامعة.

ومن الفروع الأصلية : اللجان الفنية وتقوم بإعداد مشروعات اتفاقيات بشأن الموضوعات التى تدخل فى اختصاصها وتعرض على مجلس الجامعة لإقرارها مثل اتفاقيات اتحاد البريد واتحاد المواصلات والمنظمة العربية للعلوم الإدارية واتحاد اذاعات الدول العربية وكذلك المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها 0

ومن الفروع الأصلية : الأمانة العامة

ولقد أنشئت فى الأمانة العامة مكاتب وأجهزة وإدارات على النحو التالى : (1 – مكاتب وأجهزة خاصة مثل مكتب مقاطعة إسرائيل ومكتب مكافحة المخدرات وبيوت الطلبة ومعهد الدراسات العربية العالية.2 – إدارة الاستعلام والنشر 0

3 – إدارة المواصلات. 4 – الإدارة الثقافية 0 5 – إدارة الشئون الاجتماعية

6 – إدارة شئون البترول 0 7 – الإدارة القانونية 0 8 – إدارة السكرتارية 9 – إدارة فلسطين 0

وعلى كل إدارة العمل على متابعة ما بشأنه خاص بها ويتبعها كتخصص فى مكونات الجامعة العربية والذى من شأنه الارتباط بالعلاقات الدولية وضمان أمن وسلامة الأوطان العربية ، فقد أبرمت الجامعة معاهدة الدفاع المشترك والتعاون

الاقتصادى لدول الجامعة والتى وقعت فى عام 1950 ودخلت فى دور التنفيذ فى عام 1952 وتم تعديلها فى عام 1959

وفى ديسمبر عام 1963 اقترح عبدالناصر عقد اجتماع للقمة يحضره ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية للتدارس فى التهديدات الصهيونية واتخاذ موقف موحد حيالها ، ولقد عقد مؤتمر أول فى يناير 1964 فى القاهرة ومؤتمر ثان فى سبتمبر 1964 فى الإسكندرية ومؤتمر ثالث فى الرباط عام 1965 وقد أطلق على هذا الجهاز الجديد " مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية " وقد اهتم بالعديد من الموضوعات مثل :

قرر هذا المجلس تأليف مجلس عربى مشترك للبحوث الذرية ، كما اهتم بوضع خطة للعمل العربى المشترك لتحرير فلسطين ، كما أيد المجلس تحرير الجنوب المحتل وعمان ودعم العلاقات بإمارات الخليج العربى والتعاون الاقتصادى العربى وبتوثيق الصلات الاقتصادية مع المغرب العربى ، كما اهتم بالمشكلات العالمية مثل تصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية 0

اما ابرز نشاطات الجامعة فقد ساعدت على نيل كل من سوريا ولبنان استقلالهما عام 1946 ونجحت في ابرام معاهدة جديدة بين بريطانيا ومصر عام 1954 تضمنت الاستقلال وجلاء القوات البريطانية كما اخذت على عاتقها مهمة

الدفاع عن ليبيا ونيل استقلالها عام 1951 كما هو الحال في السودان، كما نجحت الجامعة بتسوية الخلافات الداخلية التي نشبت في اليمن في الاعوام 1948 و1954 كما كان لها دورا في استقلال دول المغرب العربي كافة، وفي المجال الاقتصادي سعت الجامعة العربية الى عقد اتفاقيات التعاون الاقتصادي عام 1950 واتفاقية التبادل التجاري وتنظيم الترانسيت عام 1953 كما نشطت الجامعة في قيام الحوار العربي- الاوربي والتعاون العربي- الافريقي. اما عن تقويم الجامعة فهناك اجماع بين الدارسين بان الجامعة قد وفقت في التصدي للمشكلات الاساسية التي واجهت الوطن العربي وخاصة مشكلة فلسطين وغيرها من المشاكل العربية المعروفة اذ ان الجامعة لاتشكل الطموح العربي فعلى هذه الجامعة التوحد والتضامن لمواجهة الاخطار والتحديات الداخلية والخارجية خاصة الاستعمار الصهيونى فى فلسطين وتعديل ميثاق الجامعة بما يتلائم وظروف المرحلة الراهنة. ليس هذا فحسب ، فالجامعة العربية التى تعتبر رمز الوحدة العربية والتى أنشئت قبل الأمم المتحدة وقبل الاتحاد الأوربى وقبل كثير من المنظمات الإقليمية الأخرى ، نجد أنها تراجعت عن دورها الذى أنشئت من أجله " توحيد العرب " بخلاف المنظمات الأخرى التى تسعى دائما لتحقيق الدور الذى أنشئت من أجله ، وأصبح دور الجامعة مهمشا لا يعدو الاحتجاج والشجب

بالنسبة للأحداث التى تقع ضد الدول الأعضاء فيها أو السعى لتحقيق أهدافها بعد فوات الأوان.

القضية الفلسطينية

الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية

نشأت الحركة الصهيونية أعقاب الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في روسيا عقب مقتل القيصر نيقولا الثاني عام 1881 واتهام اليهـــود بمقتله ، كما تعرضوا للاضطهادات في دول أوربية أخري مثل بولونيا ورومانيا بسبب عدم ولائهم لها ، وبسبب سيطرتهم علي مقدرات الأمور في هذه الدول وارتكابهم العديد من الجرائم ضد شعوبها فتأسست الجمعيات التي طالبت بإنشاء المستعمرات في فلسطين يستوطنها اليهود المهاجرون إليها من شرق أوربا مثل جمعية أحباء صهيون 0

والحركة الصهيونية حركة عنصرية دينية سياسية استعمارية ترمي إلي جمع شتات اليهود ، وتوطينهم في فلسطين بحجة أنها أرض الميعاد ، وبدأ ت مساعي الحركة بمسعي الماليين اليهود لدي الباب العالي وقد تبني المشروع كاتب يهودي نمسوي هو " تيودور هرتزل " الذي دعا إلي عقد مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا عام 1897م حضره أكثر من مائتي يهودي يمثلون الجاليات اليهودية في سبع عشرة دولة وأقر مبدأ إنشاء وطن قومي لليهود يحميه القانون العام ، ثم توالت بعد ذلك المؤتمرات الصهيونية 0

اتجه هرتزل إلي انجلترا وعرض إنشاء الوطن في أية منطقة من البلاد الواقعة تحت النفوذ البريطاني مثل سيناء أو شرق أفريقيا وذلك بسبب ميل الانجليز بجانب اليهود – ليس حبا في اليهود – ولكن بسبب كثرة اليهود النازحين الي لندن وتكوين مدينة يهودية فيها (فهم معروفون بالتجمعات السكنية المعروفة في أوربا " بالبوجروم " لذا كان علي الانجليز طردهم من لندن وتوطينهم في فلسطين ، وبذلك فإن بريطانيا هي سبب كل بلاء للعرب ، وفي المؤتمر الصهيوني عام 1903م تم رفض فكرة التحول عن فلسطين ، وفي 1904م تحولت الفكرة إلي الجبل الأخضر في برقة بليبيا، وفي عام 1917م تم طرح المشروع في الجزء الشرقي من الخليج العربي (منطقة البحرين والإحساء) 0

ونتيجة لأطماع اليهود بدأ السلطان عبدالحميد يهتم بالأوضاع في فلسطين وصمد أمام كل الإغراءات التي حاول بها اليهود زعزعته عن موقفه ، حتي أن هرتزل انتهز فرصة الضائقة المالية التي تمر بها الدولة العثمانية وتكالب الدول الاستعمارية عليها فعرض علي السلطان حل أزمته المالية في نظير السماح لليهود بالهجرة إلي فلسطين إلا أن السلطان رفض بقوله : " أني لا أستطيع أن أتخلي عن شبر واحد من الأرض ، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ، لقد ناضل في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وإذا مزقت

إمبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن " لقد تم لهم ذلك يا مستر عبدالحميد ، فإنهم أشر خلق الله علي الأرض شعب مخرب ومدمر يلحق الأذي بالآخرين وبأنفسهم في سبيل إضرار الآخرين ، فهم السبب في جميع عمليات الإبادة التي لحقت بهم ، فهم مأساة العرب فلو أن العرب حاليا أسعد حظا فكانوا انتهوا علي يد (تيتوس وهادريان) عام 70م و135م ففي الأولي قتل منهم 000 , 350 , 1 في المعارك و 000 , 900 أسروا أو بيعوا كرقيق كما مات منهم الآلاف غيرهم بسبب المجاعات والأوبئة والمذابح ، وأيضا لو أن حظ العرب أسعد لتمت إبادة اليهود عن آخرهم علي يد الروس أو علي يد هتلر النازي (الهولوكوست) ، ولو أن حظ العرب أسعد ما ساعدتهم بريطانيا في إنشاء الوطن اليهودي في فلسطين أو علي الأقل كانت وجهتهم إلي أفريقيا أو أمريكا أو غيرها بعيدا عن العرب 0

توجت جهود هرتزل في 2 نوفمبر 1917 بصدور وعد بلفور اللعين ، والواقع أنه لا حق لليهود – تاريخيا – في كما يدعي الصهاينة ففلسطين منذ السنة الخامسة عشرة أرض إسلامية ، وهي قبل ذلك التاريخ أرض عربية ، أما الأسباب التي أدت إلي نجـــاح اليهود لاستلاب الوطن الإسلامي في فلسطين فهي كثيرة منها :

التخطيط الصهيوني والصبر علي المخطط عن طريق تنمية الهجرة وشراء الأرض والبحث عن الحماية الدولية واستغلالها لمصلحتهم 0

غياب التخطيط لدي الأمة الإسلامية فمواقف القادة المسلمون لا تخرج عن كونها ردود أفعال مثل الاستنكار والشجب لبعض ما كان يقوم به

الصهاينة من عمل منظم للهيمنة علي الأرض وطرد أهلها منها 0

في مؤتمر سان ريمو عام 1922م تم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور مما نقل الأوضاع من التزام بريطاني إلي التزام دولي وسارت عملية التهويد في عدة خطوط متوازية هي :

تشجيع الهجرة اليهودية إلي فلسطين 0

اننتقال ملكية الأراضي الفلسطينية إلي المهاجرين اليهود 0

اعتراف بريطانيا بالوكالة اليهودية التي كانت تشرف علي أمور اليهود السياسية والتعليمية والاقتصادية والعسكرية 0

وعد بلفور 1917م

أثناء الثورة العربية سابقة الذكر استطاع القائد الانجليزي " اللنبي " دخول فلسطين عام 1917م ثم وضعت بريطانيا السير هربرت صمويل أحد أقطاب الصهيونية والانجليزي الجنسية مندوبا لها في فلسطين وقد عمل هذا المندوب

علي تقريب وجهات النظر بين الانجليز واليهود بشأن فلسطين كما اتصل الزعيم الصهيوني " حاييم وايزمان " باللورد آرثر جيمس بلفور لنفس السبب وقد تعددت الأقوال حول أسباب صدور هذا التصريح التي تمثلت في :

محاولة بريطانيا كسب عطف يهود أمريكا للضغط علي الحكومة الأمريكية لدخول الحرب جانب بريطانيا ضد ألمانيا 0

تطلع بريطانيا الي الحصول علي اختراع عالم الكيمياء اليهودي حاييم وايزمان الخاص بإخراج وسيلة قليلة التكاليف لانتاج مادة الآسيتون التي كانت تستعمل كمذيب للبارود فلا تطلق دخانا والتى كانت بريطانيا في حاجة لها أثناء الحرب 0

تطلع بريطانيا إلي مساندة العناصر الصهيونية في ألمانيا والنمسا لها كي يقوموا بدور مخرب داخل هذه الدول 0

خشية بريطانيا أن يسبقها الألمان في كسب ود اليهود 0

زرع دولة غريبة في قلب الوطن العربي حتي تكون مصدر قلق للعرب0

محاولة إبقاء روسيا في الحرب بعد الثورة البلشفية خاصة

وأن اليهود كانوا يسيطرون علي الصناعات الرئيسية فيها 0

كثرة اليهود النازحين إلي لندن عاصمة بريطانيا وتكوينهم مدينة داخل لندن بسبب فرارهم من المذابح الروسية ضدهم لاغتيالهم قيصر روسيا السابق 0

والتصريح من الناحية القانونية لم يكن سوي رسالة صادرة من وزير خارجية بريطانيا إلي اللورد روتشيلد أحد أثرياء اليهود وأبرز زعماء الانجليز من الصهاينة 0

أما ردود الفعل فقد تمثلت في الآتي :

سارعت أجهزة الدعاية الألمانية والدولة العثمانية وهي الجانب المعادي للحلفاء بكشف التواطؤ البريطاني – الصهيوني 0

أعربت الكنيسة الانجليزية عن معارضتها لهذا التصريح ورأت أن وجود مركز لليهود في فلسطين سيكون معاديا للمسيحية 0

استاء العرب من هذا التصريح ورأوا فيه اعتداءا علي قطر عربي وسلبا لحقوق أهله وتسليمه لليهود ، ولذلك فالمؤتمر السوري لم يعترف بوعد بلفور وأعلن وحدة الشام (سوريا) دون الاعتراف بأي حق دولي للصهاينة اليهود0

أما اليهود فقد اعتبروا التصريح خطوة نحو تحقيق تنبؤات كتبهم المقدسة ونهاية لآلامهم ، وكان من نتائج ذلك : أولا: أقام اليهود في بعض المدن المصرية احتفالات بمناسبة إعلان التصريح والعمل علي نشره في الأوساط العربية عرب

فلسطين خاصة في القدس ويافا ، وثانيا : نشطت المجهودات الصهيونية بعد صدور التصريح علي إقامة الدولة اليهودية بفلسطين 0

كفاح الشعب الفلسطيني :

نشط الفلسطينيون في الحفاظ علي عروبتهم بعد صدور تصريح بلفور فتعددت الجمعيات مثل الجمعيات الاسلامية المسيحية دلالة علي تضامن الفلسطينيين (مسلمين ومسيحيين) ضد خطط بريطانيا والصهيونية الخاصة بتهويد فلسطين ، وتبلور برنامج الكفاح في الأهداف التالية :

إلغاء تصريح بلفور 0

رفض الاعتراف بالانتداب البريطاني علي فلسطين 0

استقلال فلسطين 0

تأسيس حكومة فلسطينية نيابية 0

ونتيجة لتفاقم الأمور وقع صدام في القدس بين العرب واليهود في أبريل 1920م سقط فيه عدد من القتلي والجرحي من الطرفين ، كما حدث صدام مماثل في عام 1921م ، وفي عام 1922م أصدر " ونستون تشرشل " وزير المستعمرات البريطاني بيانا رسميا عرف باسم (الكتاب الأبيض) وذلك لتهدئة العرب جاء فيه :

1- أن تصريح بلفور غير قابل للتغيير مما سبب صدمة للأماني العربية 0

أن الوجود اليهودي في فلسطين ستسانده بريطانيا وتؤيده 0

عزم بريطانيا علي إنشاء الحكم الذاتي في فلسطين 0

أدي ذلك إلي اندلاع ثورات العرب في فلسطين بعد رفضهم لهذا الكتاب في الوقت الذي رحب فيه اليهود بالمكاسب التي حققوها حيث زادت مساحة الأراضي التي امتلكوها ، وكان من أهم هذه الثورات (ثورة البراق " حادث المبكي " 1929م) – يعرف عند العرب بحادث البراق وعند اليهود بالمبكي حيث ادعي اليهود أن حائط المبكي أثر من آثار هيكلهم الزائل في حين يعده المسلمون من الآثار الإسلامية المقدسة حيث ربط فيه النبي محمد صلي الله عليه وسلم جواده الذي عرج به إلي السماء 0

وفي عام 1930م رأت بريطانيا تهدئة الأمور فأصدرت ما يعرف بالكتاب الأبيض الذي جاء فيه :

أن الوطن القومي لليهود في فلسطين لا يراد به فرض الجنسية اليهودية علي فلسطين 0

أن بريطانيا لا تخل بواجبها نحو الفلسطينيين 0

وأنها لا تسمح بزيادة الهجرة اليهودية إلي فلسطين 0

ليس من حق الوكالة اليهودية المشاركة في حكم البلاد 0

ستسمح بريطانيا للفلسطينيين بالحكم الذاتي في الوقت المناسب 0

ستوقف الهجرة اليهودية إلي فلسطين في الحالات الضرورية 0

ولما يئس العرب من عدم تحقيق مطالبهم قاموا بالثورة ضد الانجليز أنفسهم في نوفمبر 1936م برئاسة الشيخ عز الدين القسام ، وكان لهذه الثورة صداها في العالم كله مما أدي إلي توافد المتطوعين من البلاد العربية ، وعادت بريطانيا 0

إلي سياسة المراوغة فشكلت " لجنة بيل " لدراسة الأمور وتقدمت بتقريرها عام 1937م والذي اقترحت فيه علاجا للمشكلة تقسيم فلسطين إلي ثلاث مناطق هي :

دولة يهودية في الأراضي التي بها أكثرية يهودية وهي تشمل أجود الأراضي الفلسطينية من جنوب لبنان إلي جنوبي يافا 0

دولة عربية وتشمل ما تبقي من أرض فلسطين تنضم إلي شرق الأردن 0

توضع الأماكن المقدسة أي (بيت المقدس وبيت لحم) تحت الانتداب البريطاني0

تدفع الدولة اليهودية وبريطانيا مساعدات للدولة العربية 0

مع زيادة العنف أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض عام 1939 ظهرت فيه بمظهر المنصف بين العرب واليهود وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تم عرض القضية الفلسطينية علي مجلس الأمن عام 1947م حيث صدر قرار تقسيم فلسطين الذي هلل له اليهو د ، وكان صدمة للعرب فانفجرت ثورتهم حيث بدأت حرب العصابات بين العرب واليهود ارتكب اليهود خلالها المذابح وأعلنت بريطانيا أنهـــا 40ستنهي انتدابها علي فلسطين 14مايو 1948م لتمكن لليهود ففي اليوم التالي غادر المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا معلنا انتهاء الانتداب البريطاني علي فلسطين ، وعلي أثر مغادرته أعلن بن جوريون قيام دولة إسرائيل واعترفت بها الولايات المتحدة فور الإعلان0

ونتيجة لذلك بدأت مرحلة الكفاح المسلح بين العرب واليهود حيث لم تجد الدول العربية بدا من التدخل العسكري في فلسطين لإنقاذ أهلها فدخلت القوات العربية فلسطين في اليوم التالي لإنهاء الانتداب معلنة وقوفها إلي جانب الشعب الفلسطيني وبذلك كانت "حرب فلسطين 1948م " وقد حققت القوات العربية انتصارات ضد اليهود مما أدي إلي تقدم بريطانيا التي تقدمت باقتراح هدنة مدتها أربعة أسابيع تشمل ما يلي :

عدم تصدير الأسلحة إلي فلسطين أو الدول العربية 0

عدم تجنيد أو تعبئة أو تدريب المقاتلين في فلسطين أو الدول العربية

عدم هجرة الذكور البالغين إلي فلسطين 0

تنفيذ وقف إطلاق النار من قبل الفريقين يوم أول يونيو 0

تم قبول الهدنة من العرب واليهود رغم تفوق العرب قتاليا والتزم العرب بها ، أما اليهود فقد خرقوها وكانوا يأتون بالمعدات والرجال غير عابئين بالعهود والمواثيق واستعاد اليهود قواهم من حيث التسليح أو التدريب ، ولما انتهي أجل الهدنة ولم يوافق العرب علي مقترحات الكونت برنادوت برودس لاستنادها علي التقسيم كما تم رفض تمديد الهدنة لمـــدة شهر ، وفي التاسع من يوليو استأنفت القوات العربية القتال في فلسطين ، ولما كانت فترة الهدنة استجماع قوي اليهود وتصدع الجبهة العربية سياسيا وعسكريا وظهور الخيانة

في صفوف العرب جميعا (مصر وسوريا والأردن والعراق) هزم العرب شر هزيمة ، وانتهي الأمر بعقد هدنة رودس عام 1949م بين العرب واليهود ، ونتج عن ذلك أن وضع اليهود أيديهم علي فلسطين كلها ما عدا منطقتين هما :

منطقة غزة وقد تمركزت فيها القوات المصرية 0

منطقة غرب الأردن التي انضمت فيما بعد إلي إمارة شرق الأردن وكونت المملكة الأردنية الهاشمية 0

القدس وقد اقتسمت بين الأردن وإسرائيل 0

وهكذا كانت حرب فلسطين عام 1948م التي أضاعت دولة فلسطين العربية وأوجدت دولة إسرائيل اليهودية الصهيونية من العدم ومن الشتات ، ليس هذا فحسب فقد أصبحت شوكة في قلب العرب وقاعدة عسكرية لأمريكا ، ودخلت أكثر من حرب مع العرب مثل حرب 1956م وحرب 1967م وحرب أكتوبر 1973م ، هذا بخلاف المذابح التي قام بها اليهود ضد الأهالي في فلسطين ومصر مثل كفر عبده وبحر البقر وغيرها ، راح ضحية اليهود الملاعين آلاف الأطفال والشباب والشيوخ والنساء قتلا وجرحا واغتصابا ، أما عن المذابح اليهودية ضد الفلسطينيين فهى كثيرة وسوف نذكر بعض منها : -

مذبحة دير ياسين : اتفق القائد المحلى للأرجون (مردخاى كوفمن) مع (دافيد شانتانيل) قائد الهاجاناه على القيام بالاستيلاء على " دير ياسين " ذلك الموقع الحيوى الذى يرتفع عن سطح البحر بألفى قدم ويتحكم فى طريق القدس – الساحل وبالتالى يمكن فك الحصار المفروض على القدس من قبل وحدات (الجهاد المقدسى العربية)بقيـــــادة " عبدالقادر الحسينى " ودير ياسين كانت أول قرية عربية تهاجم ، وقد هوجمت من قوات " الأرجون وشترن " بعد أن انضم رجال القرية الشبان إلى عبدالقادر الحسينى ولا يوجد بها سوى النساء

والأطفال والعجائز ، وقد كشف سير المعارك يومئذ عن افتقار الفدائيين العرب إلى السلاح نتيجة لتراخى الحكومات الرجعية فى تزويدهم به ، ولعل سقوط الشهيد عبدالقادر الحسينى وهو يطلق رصاصته الأخيرة فى معركة غير متكافئة أعظم حافز للحكومات العربية على إدراك خطورةالموقف وحشد الأموال والجهود لإنقاذ فلسطين ، وكان ذلك فى التاسع من أبريل 1948 حيث قام اليهود بجمع سكانها العزل من السلاح صفا واحدا ، رجالا ونساءا وشيوخا وأطفالا ، ثم فتحوا عليهم نيران أسلحتهم فحصدوهم حصدا وبالغوا فى تعذيبهم أثناء عملية القتل والذبح ، فبقروا بطون الحوامل وأخرجوا الأجنة وذبحوها وقطعوا أوصال الضحايا وشوهوا جثثهم حتى يصعب التعرف عليها ، ولما جاء مندوب الصليب الأحمر ورأى المذبحة البشعة لم يستطع الوقوف حتى تتم عملية إحصاء القتلى ، لقد ذبحوا ما يزيد عن 250 شخصا ، ثم تم جمع من بقى على الحياة من النساء والفتيات العربيات ثم جردوهن من ملابسهن ووضعوهن فى سيارات نقل مكشوفة ، وطيف بهن وهن عاريات فى الشوارع اليهودية من القدس حيث التقطت لهن الصور الفوتوغرافية 000 لاضمير ولا رحمة 00

ويقدر عبدالله التل عدد الضحايا بثلاثمائة أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ ، " ويبلغ التواطؤ الإنجليزى مداه عندمالايجرؤ الإنجليز على

إرسال قواتهم بل اكتفوا بإرسال كونستابل يهودى ليحقق فى المسألة " ويستطرد التل مفندا مزاعم الوكالة اليهودية من عدم اشتراكها فى هذه المذبحة قائلا : " لقد وقع الهجوم بخطة مدبرة وبعلم الوكالة اليهودية والهاجاناه وكان هدف اليهود من وراء ذلك بعيدا نجحوا فى تحقيقه ، وأصبح الناس يهجرون قراهم لأبسط سبب ، وساعدت الصحافة العربية – عن غير قصد – على تحقيق أهداف اليهود بسردها تفاصيل الجريمة الوحشية " ، وفى حديث صحفى للإرهابى الدولى " مناحم بيجين " ورئيس عصابة الأرجون فى28 ديسمبر 1950 بنيويورك اعترف بأن (مذبحة دير ياسين وقعت وفقا لاتفاق بين عصابته وبين الوكالة اليهودية) ، هذا الإرهابى الذى منح جائزة نوبل للسلام !!! هل يوجد يهودى على وجه الرض يستحق أن يمنح جائزة سلام ؟

وفى سبيل إنشاء دولة لليهود على حساب دولة فلسطين أرتكبت الجرائم التى لاتخطر على بال بشر ولا زالت ترتكب :

* فقد محا اليهود 320 قرية ومدينة فلسطينية لإقامة مستوطنات يهودية 0
* ارتكب اليهود مذبحة بلدة الشيخ قتل فيها 600 شخص 0
* وكذلك مذبحة اللد فى 11 يوليو 1948 قتل فيها 426 فى مسجد القرية 0
* أيضا مذبحة قبية فى 14 أكتوبر 1953 دمروا فيها القرية 0

مذبحة كفر قاسم : تمت فى 28 أكتوبر 1956 أصدر اليهود أمـراً بحظر التجوال ابتداء من الساعة الخامسة مساء بدلا من السادسة كما كان متبعا بموجب الأحكام العسكرية ، وتم استدعاء عمدة القرية لإبلاغه بالأمر ، وعندما ذكر لهم أن الفلاحين فى الحقول ولا يستطيع إبلاغهم وطلب من القائد اليهودى " منشه شادمى " أن يعطيه مهلة نصف ساعة فرفض وأمر اثنين من ضباطه وأحد عشر جنديا بالوقوف على مداخـــل القرية وإطلاق النار على كل عربى يحاول دخولها بعد الساعة الخامسة ، وفى الساعة الخامسة والنصف بدأ الفلاحون فى العودة إلى بيوتهم وهم لايدرون ما تخبئه لهم الأقدار ، عندئذ فتحت عليهم القوة نيرانها فقتلت 57 عربيا وجرحت 25 ، والعجيب أن هذه المذبحة تمت غداة العدوان الثلاثى على مصر ولم ينجح اليهود فى التعتيم عليها ، بل علم المراقبون الدوليون والعالم بأسره وتظاهرت السلطات اليهودية المجرمة بعدم موافقتها على المذبحة ومبالغة فى الدهاء والخديعة شكلت محكمة لمحاكمة هؤلاء القتلة ، وحكم عليهم بمدد متفاوتة ووضعوا فى سجن عبارة عن فندق من الدرجة الأولى ، حتى أن أحدهم تزوج خلال مدة سجنه لأنهم كانوا يبيتون فى بيوتهم 0

وقضى هؤلاء السفاحون عامين فى السجن الفندقى ثم زارهم ياور بن جوريون كبير السفاحين ليزف إليهم بشرى العفو عنهم ، ثم أعيد القتلة إلى وحداتهم فى قطاع كفر قاسم نفسه ، وتمت ترقيتهم إلى رتب أعلى 0

ألم تكن النازية محقة فيما فعلت فى هؤلاء المجرمون ، إن كانت فعلت ، فلو أن حظ العرب أسعد لأنهى عليهم جميعا وأراح منهم العرب ، إن هتلر كان بطلا فيما فعل – أما العرب ليسوا كذلك 0

كانت مذبحة المسجد الإبراهيمى قتل فيها 29 مصلى داخل المسجد و50 خارجه وأصيب أكثر من 350 من المصلين ، ثم مذبحة قانا فى 18 أبريل 1996 قتل فيها 160 فلسطينى ولبنانى على يد شيمون بيريز – الذى حصل على جائزةنوبل للسلام كوسام شرف، نكبات حربية بل هى حرب إبادة شرسة ، ولذلك فإن بعض زعماء اليهود مثل : بيير ميندير رئيس وزراء فرنسا الأسبق وناغوم غولدمان الرئيس الأسبق للمؤتمر اليهودى العالمى وفيليبكلوتزنيك وزير التجارة فى إدارة الرئيس الأمريكى كارتر والبروفوسور مايكل بنتو دو شينسكى أحد الشخصيات البارزة فى الطائفة اليهودية البريطانية ، والجنرال الإسرائيلى المتقاعد متياهو بيليد والكاتب الإسرائيلى يورى افنيرى وغيرهم طالبوا الحكومة

الإسرائيلية بإيقاف أعمالها العدوانية واختيار طريق السلام والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بغية وضع اتفاقية دائمة للسلام فى الشرق الأوسط 0

إن التحدى الإسرائيلى الراهن لم يحجب عن هؤلاء المفكرين اليهود التصورات البعيدة التى قد تكون هذه التحديات وقودا لاستجابة عربية كاسحة ، ولذلك كان موقفهم يعارض وسائل التحدى الإسرائيلى لا حبا فى العرب بل خوفا من الاستجابة العربية المرتقبة ، واسرائيل لاتخشى ذلك لأن اليهود هم التحدى نفسه التحدى المدمر ، وأنهم أمام تحدى ضعيف واضح أمامهم 0

وقد وصل الأمر ببعض قيادات العدو إلى التشكيك فى إمكانية استمرار دولة الكيان الصهيونى مثل " إبراهام بورج " الذى تولى رئاسة الكنيست لأربع سنوات 1999 – 2003 يقول فى مقالته التى نشرها بصحيفة الجارديان البريطانية تحت عنوان (نهاية الصهيونية) يقول : " إن ممارسات الحكومة الإسرائيلية الحالية الظالمة ضد الفلسطينيين تؤكد أن الدولة اليهودية على وشك الفناء حيث أنها تقوم على العنصرية والفساد والظلم " ، وقوله : " إن العد التنازلى لنهاية المجتمع الإسرائيلى قد بدأ ، لأن دولة بلا قانون لا يمكن لها أن تعيش " ، وقوله : " إن الجيل الحالى قد يكون الجيل الصهيونى الأخير " ، ولعل ما يؤيد ذلك استطلاع الرأى الذى نشرته الخبيرة الصهيونية " مينا تسيمح" أن43% شعورهم بأنهم

يائسون ، و80 % لايعتقدون بأن السنة الجديدة أفضل من سابقتها ، فيما أعرب 72 % عن اعتقادهم أنه لا مستقبل للجيل الناشئ ، وهذا انعكس على الصهاينة المحتلين ودفع الكثير منهم إلى الهجرة خارج فلسطين طلبا للأمن ، واليوم وبعد90 عاما من وعد بلفور و60 عاما من احتلال معظم فلسطين و40 عاما من احتلال باقيها ، لم تستطع الصهيونية أن تقضى على الشعب الفلسطينى وإن أبقته محتلا ، لقد تخلت معظم الأنظمة العربية عن واجبها القومى نحو فلسطين وتحصنت وراء الإلتزام بالمعاهدات مع العدو الذى لم يلتزم قط بأى معاهدة أو قراراً أممياً ، فعلى سبيل المثال مؤتمر أنابوليسيهدف إلى قيام الولايات المتحدة بحلحلة القضية الفلسطينية تقريبا ، وإنها لم تكن تعطى دافعا قويا للتوازنات فى المنطقة ، وإنما الحديث فيه عن وجود تحالفات إيرانية سورية 0

وبمناسبة ذكرى نكبة فلسطين 1948 الستين عرض مركز" الباربيكان " بلندن لقطات من مشاهد نكبة 1948 فى صور النزوح والخروج لآلاف الفلسطينيين من قراهم خوفا من المذابح وعمليات التطهير العنصرى التى قامت بها قوات إسرائيلية تابعة لمجموعات يهودية تحركت قبل قيام الدولة لتطبيق الإرهاب المنظم ، احتجت سفارة أسرائيل فى لندن على صور المعرض واعتبرته محاولة لتشويه " عيد الاستقلال " غير أن المركز البريطانى رد بقوة وبأنه لا يزيف التاريخ ولا يفبرك

الصور وما يعرضه جزء من ملف ضخم عن معاناة شعب تم طرده من أرضه ليعيش آخر عليها ، كما تحدثت بعض الصحف الموضوعية عن الوجه الآخر للصورة ، الذى تجاهله الرئيس الأمريكى بوش خلال إلقاء خطابه فى الكنيست الإسرائيلى حيث صور إسرائيل بأنها دولة ديمقراطية وعبر عن فخره بكل تاريخها وظروفها الحالية التى تواجه الإرهاب ، الديمقراطية التى ربطها بوش بالاحتلال والاعتداء على الآخرين ، وهذا ما فعله ويفعله فى العراق ، إذ أن ديمقراطيته قتلت أكثر من مليون عراقى مدنى ، واستطاعت تفكيك دولة وطرد أكثر من مليونى شخص ليعيشوا فى المنافى ، ناهيك عما فعله فى أفغانستان ، إنه مصاص دماء ، ألم يذكر فى ولايته الأولى أنه يعمل على أن يرى دولة فلسطينية فى عام 2005 وها نحن فى 2009 ونهاية ولايته الثانية (20 يناير) ولم يحدث شئ أنه يهذى والحكام العرب وراءه0

ورغم اليأس الذى يعيشه اليهود فى فلسطين خاصة اليهود غير الإشكنازيم إلا أن أحلام الصهاينة التى وضعوها فى بروتوكولاتهم قد تحقق منها الكثير مما تم ذكره ، وهناك صفقة تأتى ضمن خطة استرتيجية وضعتها تل أبيب تعرف بخطة 2020 والتى تهدف لأن تصبح إسرائيل مركز وبورصة تجارة البترول والغاز الطبيعى فى منطقة الشرق الأوسط ، وسوف يتم لها ذلك بالتقارب الذى حدث

بينها وبين بعض الدول العربية مثل قطر حيث مشاركة لاعبة التنس الإسرائيلية " شاحربير " فى بطولة قطر المفتوحة للتنس فضلا عن الزيارة الأخيرة لوزيرة الخارجية الإسرائيلية (ليفنى) للدوحة ، هذا بجانب صفقة الغاز الطبيعى المصرى 0

تبقى أحلام (بن جوريون) ، فقد ذكر محمد حسنين هيكل فى 19 أبريل 2008 بقناة الجزيرة : " أن بن جوريون عام 1956 يحلم بأنه يرى تقسيم الأردن لأنها دولة ليس لها مستقبل أو غير طبيعية فتحصل إسرائيل على النصف (الضفة الغربية لنهر الأردن الذى حصلت عليه الأردن بعد حرب 1948) والنصف الثانى يضم إلى العراق (العراق موال للغرب بمقتضى حلف بغداد) ، أما لبنان فيقسم إلى ثلاثة أقسام – القسم الجنوبى لإسرائيل والشمالى لسوريا والوسط يصبح محمية مسيحية ، أما بالنسبة لمصر فإسرائيل ترى الحصول على مضايق تيران0

بريطانيا وقضية فلسطين فى ظل الصراع المصرى الإسرائيلى :

لعبت بريطانيا الدور الرئيسي فى خلق القضية الفلسطينية، ومنذ سيطر عبدالناصر على حكم مصر احتضن قضية الفلسطينيين واعتبرها قضيته الشخصية، وأصبحت خطوط السياسة الخارجية للحكومة المصرية مبنية على

موقف الدول من القضية الفلسطينية ، وخاصة تجاه بريطانيا، باعتبارها صاحبة المصالح والنفوذ الأكبر فى الشرق الأوسط ، وقد استمرت القيادة المصرية فى سياستها العدائية تجاه بريطانيا لدورها الرئيسي فى محنة الفلسطينيين المتمثلة فى طردهم من وطنهم، وتشريدهم فى شتى بقاع الأرض ، وتمثلت سياستها فى دعم اللاجئين الفلسطينيين، والتصدى للإسرائيليين إلى أن يحين القضاء علي دولتهم ، واستعادة الوطن الفلسطيني، بدافع القومية العربية للقيادة المصرية تجاه الشعب الذى اغتصبت أرضه. وقد حاولت الحكومة البريطانية تخفيف حدة الغضب المصرى والعربى ضدها فقدمت معونات مالية ضخمة لوكالة غوث اللاجئين(المختصة بإيواء اللاجئين الفلسطينيين) ، إلا أن معوناتها كانت مهددة بالانقطاع متى شاءت0

وعندما قام العدوان الثلاثى على مصر كنتيجة فعلية للتآمر البريطانى الفرنسي الإسرائيلى عليها فى خريف1956 أقدمت إسرائيل على احتلال قطاع غزة بالكامل ، وعندما تلكأت إسرائيل فى الانسحاب من القطاع ، رغم إعلان إتمام انسحاب كل من قوات بريطانيا وفرنسا عن منطقة القناة أيد بعض المسئولين البريطانيين عدم انسحاب إسرائيل من القطاع مؤكدين على عدم وجوب وضعها تحت الإدارة الدولية. وفى النهاية استقرت دوائر صنع القرار البريطانى على ضرورة انسحاب

إسرائيل من القطاع مع وجوب وضعه تحت الإدارة الدولية التابعة للأمم المتحدة ، حيث وقف لويد فى مجلس العموم بجلسته فى الأسبوع الأول من يناير 1957 ليلقى بياناً أكد فيه أن إسرائيل إذا كان لا بد لها من الانسحاب من القطاع فلا يجب أن يعود تحت الإدارة المصرية ، وأن الحكومة البريطانية تفضل وضعه تحت الإدارة الدولية ، لأن القطاع يمثل مسئولية المصريين تجاه شعب فلسطين إلى أن تُحل القضية نهائيًا 0

طالبت الحكومة البريطانية همرشولد فى18مارس بالعمل على إلزام حكومة مصر بتدويل القطاع، ولكن همرشولد أصدر بياناً أكد فيه على سيطرة القوات الدولية على الحدود المصرية الإسرائيلية بما فيها القطاع وتمكنت من منع التسلل الفلسطينى الإسرائيلى ، حيث تحركت الدوريات المكثفة حولها بعد تطهير المنطقة من الألغام والخنادق 0

فقد اعتبرت الحكومة البريطانية عودة الإدارة المصرية للقطاع هزيمة لسياستها الانتقامية من مصر بعد حرب السويس ، لذلك دبرت مؤامرة مع الحكومة الأردنية فى ربيع 1957 ، لتدويل القطاع بالتزامن مع تنفيذ مؤامرة دبرتها بريطانيا لقلب نظام الحكم المصرى وإعادة الملكية ، إلا أن المؤامرة فشلت مع فشل مؤامرة الانقلاب على النظام المصرى فى نوفمبر 1957 ، وقامت الحكومة المصرية

بمحاكمة المتهمين بمؤامرة تدويل القطاع فى المحكمة العسكرية المصرية. ثم إن عبد الناصر اتهم فى كلمته بمؤتمر الشعوب الأفروآسيوية فى 25ديسمبر1957 بريطانيا بسلب حق الفلسطينيين فى دولتهم وأعطتها للصهاينة ، ومازالت تتآمر لتدويل قطاع غزة ، كما شجع الشعب الفلسطيني على الكفاح المسلح لتحقيق حريته على أرضه، كما أرسلت الهيئة العليا لشئون الفلسطينيين بالقاهرة مذكرة إلى المؤتمر فى 25ديسمير ، طالبت بوضع حد لسياسة المطالبة بأَنصاف الحلول التى تتبعتها بريطانيا والولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية ، وخاصة مسألة عودة اللاجئين إلى وطنهم ، بعد تحرير بلادهم من الاحتلال الصهيوني0

عملت مصر على فرض منظمة التحرير ككيان فلسطينى للاعتراف به دولياً ، فقد تم إقرار مشروع القرار السلفادورى الذى كان يقضى بإعلان الكتاب العربى الذى يحتوى على إدراج منظمة التحرير الفلسطينية ككيان فلسطينى والاستماع إلى كلمة وفد فلسطين دون الاعتراف بالمنظمة، كما استطاعت مصر إدراج وفد منظمة التحرير الفلسطينية ككيان فلسطينى فى منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة0

أما فيما يتعلق بمسألة الصلح العربى مع إسرائيل : ففى جلسة10 مايو1956 بالأمم المتحدة قدم السكرتير العام للأمم المتحدة همرشولد تقريره النهائى حول النزاع العربى الإسرائيلى الذى أكد فيه على استعداد مصر وإسرائيل لتفعيل اتفاقية

الهدنة وقد وافقت مصر على إنشاء مراكز متساوية العدد للمراقبين المواليين التابعين للأمم المتحدة على جانب خط الهدنة وازدياد عدد المراقبين، والذى عرض على مجلس الأمن بجلسة 29مايو 1956 للمناقشة، حيث قدم المندوب البريطانى ديكسون مشروع قرار تضمن تأييد مساعى همرشولد لتهدئة التوتر العسكرى على الحدود بين مصر وإسرائيل ، ووجوب الاتفاق بين الدول الموقعة على اتفاقية الهدنة لوضع مقترحات همرشولد موضع التنفيذ مع تنفيذ بنود اتفاقية الهدنة كاملة وخاصة لمنع تسلل الفدائيين المصريين من قطاع غزة لضرب العمق الإسرائلى ، وحرية تفقد المراقبين الدوليين بالمنطقة واحترامها فى جميع المناطق منزوعة السلاح ومناطق الحدود بين الجانبين ، كما أشار البند الخامس من المشروع إلى مطالبة هيئة المراقبين الدوليين بالاستمرار فى عملها لضمان وقف إطلاق النار على الحدود على أن يتم رفع الأمر لمجلس الأمن فى حال خرق أى جانب للاتفاق ، ورغم ذلك فقد استمرت التوترات قائمة على الحدود المصرية الإسرائيلية0

كما حاولت الحكومتان البريطانية والفرنسية تحويل مناقشات جلسات الجمعية العامة من المطالبة بإتمام الانسحاب من مصر إلى مناقشة قضية فلسطين

والصلح مع إسرائيل ، فقد طالب المندوب الفرنسى عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لمناقشة القضية 0

الجدير بالذكر أنه فور إتمام انسحاب إسرائيل من سيناء وقطاع غزة فى 8مارس1957 أعلن لويد فى كلمته بالجمعية العامة لنفس اليوم بأن أى تسوية لقضية فلسطين يجب تنفيذها وفقا لخمسة مبادئ تحتوى على تهيئة جو صالح لإقرار السلام على الحدود العربية الإسرائيلية ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، والوصول إلى حل وسط تجاه مسألة وضع حدود دائمة بين الدول العربية وإسرائيل ، والاتفاق على تقسيم مياه نهر الأردن بالمشاركة بين الدول العربية وإسرائيل ، ووضع ضمانات للعرب لمنع توسع إسرائيل وأخرى لإسرائيل لمنع محاولة إزالتها كدولة 0

والواقع أن مصر استطاعت توحيد كلمة الدول العربية فى المحافل الدولية على رفض الصلح مع إسرائيل أو الدخول معها فى علاقات تعاون من أى نوع مما جعل المنظمات الدولية تحترم الموقف العربى خلال تلك الفترة 0

المنهج الصهيونى فى محاربة الفلسطينيين :

تمثل منظمة الكنيسة المسيحية الدولية (بعض الكنائس الإنجيلية الأمريكية) ولها دور هام فى صياغة القرار الأمريكى تجاه الصراع العربى الإسرائيلى ،

واستكمالا لفكرة إقامة دولة لليهود فإن هذه الدولة ستتعرض لهجوم من غير المؤمنين ، خاصة من المسلمين والملحدين ، وهو ما يتسبب فى مذبحة كبيرة تدعى (هرمجيدون) نسبة إلى سهل مجيدو الذى يقع بين الخليل والضفة الغربية 0

سيناريو (هرمجيدون) كما فى كتاب (نهاية الكرة الأرضية العظيمة) لـ " هال ليندسى " – من كبار منظرى الصهيونية المسيحية – يفترض مايلى :

قيام إسرائيل 0

عودة اليهود من الشتات إلى أرض الميعاد 0

إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى 0

تعرض إسرائيل لهجوم كبير من الكفار (المسلمين والمسيحيين غير المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح) 0

قيام ديكتاتور أسوأ من هتلر وستالين بتزعم القوات المهاجمة 0

خضوع مناطق واسعة من العالم لسيطرة هذا الديكتاتور المعادى لليهود 0

تحول 144 ألف يهودى إلى المسيحية الإنجيلية وينتشرون فى العالم لتحويل بقية الشعوب للديانة الإنجيلية 0

وقوع مذبحة هرمجيدون النووية التى تتسبب فى كارثة بيئية ضخمة

يرتفع المؤمنون بعودة المسيح بينما يذوب الباقين فى الحديد المنصهر 0

10 – حدوث كل ذلك فى غمضة عين 0

11– نزول المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض وحوله جميع المؤمنين به

12– يحكم المسيح العالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة الألفية 0

من هنا نفهم التصريحات المخيبة لآمال العرب الصادرة من الرئيس الأمريكى بوش تجاه إسرائيل بمناسبة مرور 60 عاما على إنشائها وأنه ينفذ مشيئة الرب على الأرض ، وتعتقد الصهيونية المسيحية بثلاث إشارات تسبق عودة المسيح : –

قيام دولة إسرائيل 0

تهويد مدينة القدس 0

إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، وتقريبا اكتمل كل شئ متعلق بالأحجار والبناء والكهان وملابسهم ، ولم يتبق إلا هدم المسجد وكانوا يقولون بأن عام 2007 هو العام الفاصل ، وقد مضى عام 2007 ، وعام 2008 0

وتشترك كل من الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية ليس فقط فى إقامة دولة لليهود بل أيضا فى وجوب إقامة هذه الدولة على كل الأرض الموعودة (من

النيل إلى الفرات) ، لأن هذا شرط مسبق لعودة المسيح وعلى العرب مغادرة هذه الأرض لأنها تخص اليهود ، وهذا ما ينفث به هؤلاء اليهود الصهاينة الكذابون المخادعون فى آذان من لا آذان لهم ، خاصة من حيث العقيدة ، وإنما يتمتعون بالمكر وكراهية المسلمين أمثال بوش وأتباعه وإنهم مؤمنين بما يذكره لهم هؤلاء اليهود والذى لا يوجد منه شئ صحيح على الإطلاق بخلاف قيام دولة إسرائيل ، والرغبة فى تحقيق ما جاء فى بروتوكولاتهم التى يحلمون بها 0

إن التطرف الكامن فى إسرائيل له بعد دينى وبعد قومى غذته أفكار الصهيونية التوسعية طوال قرن كامل مما أصبح معه خطرا داهما وقد ظهر أخيرا تصاعد فى اتجاهات هذا التطرف ، ليس من بقايا حركة كاخ وغيرها من الحركات اليمينية المتطرفة والتى ارتكبت مذبحة الخليل فى فبراير 1994 ولأن كتلة الليكود التى تقاوم مسيرة السلام رغم إسقاط الشعب الإسرائيلى لها فى الانتخابات الأخيرة ، ولا من الجنرالات العسكريين الذين تفرض عليهم مهنتهم تصرفات جافة مساندة للإستيطان والمستوطنين ، إنما تصاعد اتجاهات التطرف يأتى من الحكومة الإسرائيلية والأجهزة المتعاونة معها 0

يقول الفريق سعد الدين الشاذلى : " إن الأسلحة التى تمتلكها الدول العربية مجتمعة تفوق بكثير ما تمتلكه إسرائيل (يعنى مثلا تمتلك الدول العربية 18 ألف

دبابة فى مواجهة 3895 دبابة لإسرائيل وثلاثة آلاف طائرة مقابل 835طائرة إسرائيلية) ، هذه الأسلحة مع اعترافنا بالتفوق النوعى لإسرائيل لو وجهت كلها ضد إسرائيل فسوف تنتصر عليها الدول العربية وتهزمها هزيمة منكرة ، ولكن افتراض لا يمكن أن يتحقق فى ظل الأوضاع الحالية " ، ويضيف : " حتى استخدام الأسلحة النووية مستحيل ، فهذا الاستخدام له قواعد معينة ، إسرائيل بلد صغير، وإذا استخدمت الأسلحة النووية فسوف تتأثر بها ، وإذا أقدمت على ذلك فسوف تضرب فى مسافات بعيدة عنها ، وبالتالى لا يمكن أن تلجأ إلى النووى إلا فى حالة واحدة فقط ، عندما يصبح زوال إسرائيل شبه مؤكد ، بمعنى أن تهدد تل أبيب نفسها ، والواقع أن التخوف القائم هو أن اليهود شعب مدمر ومخرب حتى لنفسه ولن يتورع فى استخدام النووى فى صور صغيرة لا تؤثر عليه ، وقد استخدم اليهود أنواع من الأسلحة المحرمة دوليا ضد أهالى غزة فى مذبحة أول 2009 دون مراعاة لقوانين دولية أو إنسانية فهى معدومة عند اليهود ، ولا يصح إلا الصحيح وهو على العرب التكتل والتوحد بإنشاء النووى فهم بالوحدة قادرون على مواجهة العالم لا إسرائيل فقط ، وعلى الأقل بدلا من التخوف من وقوع العرب بين قوتين نوويتين إسرائيل وإيران يستطيع العرب أن يكونوا القوة النووية الثالثة بدلا الحديث الكثير عن وجوب إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار

الشامل ، وبهذه المناداة جعل الغرب ينظر إلى إيران فقط باعتبار أنها فى البداية وأن إسرائيل أصبحت واقع بعد التخلص من إيران يكون النظر إلى إسرائيل ، وهذا بالطبع لن يكون من الغرب فهذه آلاعيب السياسة والتى غالبا يصدقها العرب أو يتصنعون تصديقها بسبب ماهم فيه من فرقة وضعف0

أما عن القدس : فحدث ولا حرج ، أرسلت قيادة العمليات الإسرائيلية برقية إلى قائد لواء المركز تدعو لاحتلال الفدس ، وكان نصها يجب احتلال المدينة القديمة ، الدخول بداخلها أفضل من حصارها ، مطلوب تفعيل المدفعية مع مساعدة جوية لمهاجمة أهداف وسط المدينة القديمة ، ماعدا المسجد الأقصى ومسجد عمر وكنيسة القيامة يراعى عدم إصابتها ، سقطت القدس ، وأرسل قائد لواء الجنوب فى الجيش الصهيونى برقية إلى رئيس أركان الجيش آنذاك " إسحق رابين " كان نصها " يمكن الإعلان أن كل قواتنا على شواطئ قناة السويس والبحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء فى أيدينا ، تحياتى لك ولجيش الدفاع الإسرائيلى 0

وفى آخر أيام الحرب 10 يونيو 1967 صدر بيان عن لواء الشمال الصهيونى بعنوان " الهضبة السورية فى أيدينا ، ووجه قائد اللواء حديثه إلى القادة والجنود ، قائلا المهمة أنجزت كاملة ، انتهت حربنا ضد جيوش الأعداء الثلاثة 0

ولكن بعد حرب 1973 تغير الوضع نوعا ، ففى رسالة مرسلة من الرئيس السادات إلى الرئيس الأمريكى كارتر بشأن القدس ، تبين الآتى : تعتبر القدس العربية جزء لايتجزأ من الضفة الغربية ، ويجب احترام وإعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية فى المدينة 0

القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية 0

أن من حق الفلسطينيين فى القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة 0

يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول إلى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الأماكن المقدسة دون تمييز أو تفرقة 0

وفى حديث للرئيس السادات فى مجلة شتيرن الألمانية بتاريخ 3 أبريل 1979 : " أن مشكلة القدس أعلنت رأيها صراحة أمام الكنيست الإسرائيلى منذ أكثر من ستة عشر شهرا 00 إن للعرب والمسلمين حقوقا تاريخية فى القدس لا يمكن أن يتجاهلها أحد 00 أن 700 مليون مسلم وعربى يرفضون السيادة الإسرائيلية على القدس العربية والقدس جزء من الضفة الغربية ، هذا هو موقف مصر ونرفض سيادة إسرائيل على القدس العربية " 0

وفى عهد شارون الميت حى ، باشرت سلطات الاحتلال الإسرائيلى تنفيذ مشروع عزل القدس ، حيث قرر هذا الشارون إجراء تعديلات فى مسار الجدار العازل

بحيث تتم إزاحته بشكل يضمن إزاحة حدود بلدية القدس إلى مناطق يطلق عليها الإسرائيليون اسم " القدس الكبرى " وبالتالى نجح شارون فى مزج الرؤية الأمنية بالرؤية السياسية ليحقق حلمه بالقدس الكبرى وتقوم الخطة على ما يلى : -

- الاهتمام بتقوية وتعزيز الوجود الإسرائيلى الأمنى والاستيطانى 0
- إنشاء لواء عسكرى يكون مسئولا عن إغلاق القدس – بدلا من الشرطة0
- فصل مناطق كثيرة بواسطة حواجز عسكرية عن مركز المدينة 0
- إغلاق جميع المؤسسات الفلسطينية الموجودة فى القدس 0
- إبعاد الشخصيات الوطنية من القدس 0
- سحب الهويات الإسرائيلية من المقدسيين القاطنين فى المناطق التى سيتم تحويلها إلى مناطق فلسطينية (بيت حنينا وكفر عقب وقلنديا) وتسليمهم هويات فلسطينية مع إبقائهم تحت السيطرة الإسرائيلية 0
- تقليص الوجود الفلسطينى فى منطقة القدس 0
- ربط حزام القدس الشرقية بالقدس الغربية عن طريق الأنفاق 0
- ربط المستعمرات خارج حدود بلدية القدس مع المستعمرات داخل البلدية 0
- إقامة الحواجز فى عدة معابر 0
- زيادة البؤر الاستعمارية داخل الأحياء الفلسطينية 0

– فصل خدمات الكهرباء المزودة لهذه البؤر عن شركة كهرباء القدس0

وفى القدس يدير أحد المتطرفين اليهود ويدعى " برلند " مدرسة دينية (شوفوبانيم) خصصها لتعليم الإرهاب لغير الأشرار – أى اليهود – فانهالت عليه تبرعات المليونير اليهودى الشهير فى نيويورك " أترهام وفيك " ليتخذ لمدرسته مقرا جديدا القدس المحتلة وفى الحى الإسلامى ، ولتلاميذ الحاخام برلند منهج منظم فهم يحملون أبشع الصفات والخصائص من القتل ويطالبهم دائما فى خطبه بقتل الفلسطينيين ، وفى 1990 أطلق اليهود النار على المصلين فى المسجد الأقصى وقتلوا 12 مصليا ، ولقد تم إحصاء الاعتداء على المسجد منذ ذلك التاريخ 1990 بحوالى 172 اعتداءاً ، ومن أهمها الجريمة التى قام بها السفاح شارون وزبانيته الجزارين باقتحام المسجد الأقصى ، مما أدى إلى اشتعال " الانتفاضة الثانية " والتى راح ضحيتها 3000 شهيد و40,000 مصاب فضلا عن تدمير رهيب فى البنية التحتية والاقتصاد الفلسطينى 0

وفى ديسمبر 1987 كانت الانتفاضة الأولى استعمل فيها اليهود أشد وسائل القمع والتنكيل ضد الفلسطينيين ، وتقول منظمات حقوق الإنسان وهم منهم – اليهود والنصارى – أن الانتفاضة استمرت ستة أعوام قتل فيها 1500 فلسطينى وجرح عشرات الآلاف ، وفى 25 أبريل 1994 كانت مذبحة المسجد الإبراهيمى

قتل فيها 29 مصلى داخل المسجد و50 خارجه وأصيب أكثر من 350 من المصلين ، ثم مذبحة قانا فى 18 أبريل 1996 قتل فيها 160 فلسطينى ولبنانى على يد شيمون بيريز – الذى حصل على جائزةنوبل للسلام كوسام شرف ، نكبات حربية بل هى حرب إبادة شرسة ، ولذلك فإن بعض زعماء اليهود مثل : بيير مينديز رئيس وزراء فرنسا الأسبق وناغوم غولدمان الرئيس الأسبق للمؤتمر اليهودى العالمى وفيليبكلوتزنيك وزير التجارة فى إدارة الرئيس الأمريكى كارتر والبروفوسور مايكل بنتو دو شينسكى أحد الشخصيات البارزة فى الطائفة اليهودية البريطانية ، والجنرال الإسرائيلى المتقاعد متياهو بيليد والكاتب الإسرائيلى يورى افنيرى وغيرهم طالبوا الحكومة الإسرائيلية بإيقاف أعمالها العدوانية واختيار طريق السلام والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بغية وضع اتفاقية دائمة للسلام فى الشرق الأوسط 0

وقد وصل الأمر ببعض قيادات العدو إلى التشكيك فى إمكانية استمرار دولة الكيان الصهيونى مثل " إبراهام بورج " الذى تولى رئاسة الكنيست لأربع سنوات 1999 – 2003 يقول فى مقالته التى نشرها بصحيفة الجارديان البريطانية تحت عنوان (نهاية الصهيونية) يقول : " إن ممارسات الحكومة الإسرائيلية الحالية الظالمة ضد الفلسطينيين تؤكد أن الدولة اليهودية على وشك الفناء حيث أنها

تقوم على العنصرية والفساد والظلم " ، وقوله : " إن العد التنازلى لنهاية المجتمع الإسرائيلى قد بدأ ، لأن دولة بلا قانون لا يمكن لها أن تعيش " ، وقوله : " إن الجيل الحالى قد يكون الجيل الصهيونى الأخير " ، ولعل ما يؤيد ذلك استطلاع الرأى الذى نشرته الخبيرة الصهيونية " مينا تسيمح" أن43% شعورهم بأنهم يائسون ، و80 % لايعتقدون بأن السنة الجديدة أفضل من سابقتها ، فيما أعرب 72 % عن اعتقادهم أنه لا مستقبل للجيل الناشئ ، وهذا انعكس على الصهاينة المحتلين ودفع الكثير منهم إلى الهجرة خارج فلسطين طلبا للأمن ، واليوم وبعد 90 عاما من وعد بلفور و60 عاما من احتلال معظم فلسطين و40 عاما من احتلال باقيها ، لم تستطع الصهيونية أن تقضى على الشعب الفلسطينى وإن أبقته محتلا ، لقد تخلت معظم الأنظمة العربية عن واجبها القومى نحو فلسطين وتحصنت وراء الإلتزام بالمعاهدات مع العدو الذى لم يلتزم قط بأى معاهدة أو قرارا أمميا ، فعلى سبيل المثال مؤتمر " أنابوليس " يهدف إلى قيام الولايات المتحدة بحلحلة القضية الفلسطينية تقريبا ، وإنها لم تكن تعطى دافعا قويا للتوازنات فى المنطقة ، وإنما الحديث فيه عن وجود تحالفات إيرانية سورية 0

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق المنشورة:

- وثائق باللغة العربية: دساتير العالم.

المراجع العربية:

- – د. عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانيةدولة مفترى عليها ، ج 2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980 ، ص 864 ، 865 .
- 2– د. رأفت غنيمى الشيخ : دراسات أفريقية فى التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، مصر ، 2011 ، ص 204 – 206 .
- 3– د. شوقى عطاالله الجمل : دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، ص 137 ، 138 .
- 4– عادل سعيد بشتاوى : الأندلسيون المواركة – دراسة فى تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع انترناشيونال برس ، القاهرة ، 1983 ، ص 193 .
- 5– د. صلاح أحمد هريدى : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2009 ، ص 231 ، 234 .
- 6– د. جلال يحيى : فجر التاريخ الحديث ، دار الكتب الجامعية ،1976، ص 433 .

- 7- بول كولز ، ترجمة ، د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ : العثمانيون فى أوربا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993 ص 93 .
- 8- د. عبدالعزيز نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث ، دار الفكر العربى ، 1998 ، .
- 9- د. جلال يحيى : المغرب الكبير – العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، الدار القومية للطباعة والنشر ، 1966 ، ص 28 .
- 10- د. جلال يحيى : عصر النهضة والعالم الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979 ، ص 226 ، 227 .
- 11- د. رأفت غنيمى الشيخ : دراسات أفريقية فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص 204 .
- 12- د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين : تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990 ، ص 25 27 .
- 13- زهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، ط2، دار النهضة العربية، 1975، ص.414
- 14- شوقى عطا الله الجمل: المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، الانجلو المصرية، 1977، ص.129

- 15- حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضى والحاضر، مؤسسة سجل العرب، 1992، ص 165.
- 16-رأفت الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983، ص.86
- 17- أحمد الأنصارى: المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفخرانى، ص199.
- 18- روفيد خدورى: ليبيا الحديثة، ترجمة؛ نقولا زيادة، بيروت، 1966، ص.17
- 19- الطاهر الزاوى: تاريخ طرابلس الغرب، القاهرة، 1349هـ، ص.190
- 20- شوقى الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، القاهرة، 1970، ص.345،365
- 21- محمد السروجى: العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الإستقلال، ص.72
- 22- زاهر رياض: شمال أفريقيا فى العصر الحديث، ص.221
- 23- محمود الشنقيطى:قضية ليبيا، القاهرة ، 1951، ص.48
- 24-عزيز سامح: الأتراك العثمانيين فى أفريقيا الخالية، القاهرة، 1969، ص.221
- 25- رأفت السيخ: أفريقيا فى العلاقات الدولية، القاهرة، 1975، ص.174

- 27- د. فؤاد طارق كاظم العميدي: تاريخ الدولة العثمانية، التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل ، العراق.

الدوريات:

- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- المؤرخ المصري.
- وقائع تاريخية